ظَاهِرَةُ الإِتْبَاعِ الحَرَكِيّ فِي اللَّهْجَةِ السُّودَانِيَّة
لهجة الجَعَلِيِّينَ أنموذجًا

أ.م.د. أمل عثمان العطا محمّد*
Aalatta36@gmail.com

ملخّص:

يهدف البحث إلى التّعرّف على مدى حضور ظاهرة الإتباع الحركيّ في اللّهجة السّودانيّة المعاصرة (لهجة الجعليّين)، ومواضعها، وأغراضها، ومدى موافقتها ومخالفتها للهجات العرب القديمة، والقبائل العربيّة التي تأثّرت بها، وقد تناول الإتباع الحركيّ الرَّجعيّ والتَّقدّميّ لصوتين متجاورين وغير متجاورين، كإتباع الفتحة لفتحة مجاورة في الاسم في صيغ: (فَعْل← فَعَل)، (فَعْلَة ← فَعَلَة)، (مَفْعُول ← مَفَعُول)، (أَفْعَل ← أَفَعَل)، (مُفَعَّل ← مَفَعَّل)، (مُفَعْلَل ← مَفَعْلَل)، وإتباع صوتين غير متجاورين في: (أَبْرَاهِيم، وأَصْبَع). كما تناول إتباع الكسرة للكسرة في الأفعال الثلاثيّة المجرّدة، والأسماء الثّلاثيّة وغيرها، منها ساكن الوسط ومنها المتحرّك على وزن (فِعْلٍ، فُعْلٍ، فَعِلٍ، فَعِلَ، فُعِلَ، فَعَلَ، فُعُول)، وجميعها تحوّلت بقانون المماثلة الصّوتيّة إلى (فِعِل)، عدا (فُعُول) التي تحوّلت إلى (فِعِيل)، وورد الإتباع في صوتين غير متجاورين في صيغ اسم الفاعل من الفعل الثّلاثيّ المزيد، حيث أتبعت ضمّة أوّله كسرة ما قبل آخره. أمّا إتباع الضّمّة للضّمّة، فكان من أقلّ أنواع الإتباع استعمالًا، فقد ورد في صيغة واحدة هي: (فُعُل) للسّاكن الوسط. وخلص البحث إلى نتائج من أهمّها: تأثُّر أغلب اللّهجات السّودانيّة في الإتباع الحركيّ بلهجة القبائل الحجازيّة، وما جاور تميم من بني هلال وبني حنيفة.

الكلمات المفتاحيّة: الدراسات اللغوية؛ لهجة، السُّودان، فبيلة الجَعَلِيّين.

* أستاذ النّحو والصّرف المشارك - قسم اللّغة العربيّة - كلية الآداب - جامعة الملك سعود - المملكة العربيّة السعوديّة.

مجلة علمية فصلية محكمة
تعنى بالدراسات اللغوية والأدبية
(EISSN): 2708-5783 ISSN: 2707-5508
الآداب للدراسات اللغوية والأدبية

The Phonetic Insertion Phenomenon in the Sudanese Dialect

The Ja`ali Example

Dr. Amal Osman ALatta Mohammad*

Aalatta36@gmail.com

Abstract:

This paper aims to address the phenomenon of insertion of similar phonemes to the phoneme before or after in the contemporary Sudanese dialect, its positions, objectives, the extent of its agreement and contradiction with the ancient Arab dialects, and the Arab dialects affected by it. The paper addresses the insertion of phonemes after initial position and before final positions with two adjacent and non-adjacent sounds, such as adding a 'Fat-ha' (/ʌ/ sound) to an adjacent 'Fat-ha' (/ʌ/ sound) in the noun case: (/fʌl/ ⟶ /fʌʌl/), (fʌleh/ ⟶ /fʌʌleh/), (/mʌfuːl/ ⟶ /mʌfʌuːl/), (/ʌfʌl/ ⟶ /ʌfʼʌl), (/mʊfʌl/ ⟶ /mʌfʌl/, and inserting a similar phoneme to two non-adjacent sounds: (/ʌbrɑːhiːm/ and /ʌsbʌ/). The paper also addresses the insertion of the short /ɪ/ after another short /ɪ/ in verbs and three-letter nouns and others, and the insertion of phonemes also appeared in two non-adjacent phonemes in the case of the Active Participle derived from three-letter accentuated verbs. The most important conclusion of this paper is that the Sudanese dialect was influenced by adding similar phonemes, popular with the Arab tribes in Hijaz area and tribes neighboring Tamim; Bani Hilal and Bani Hanifa.

Keywords: Linguistic Studies; Dialect, Sudan, al-ja'lieen Tribe.

* Associate professor of Morphology and Syntax, Department of Arabic Language, Faculty of Arts, King Saud University, Saudi Arabia.

مقدّمة:

اهتمت الدّراسات اللّغويّة بدراسة اللّهجات الحديثة، ومدى اتصالها بلغات العرب؛ لذا تناول هذا البحث ظاهرة من الظّواهر الصّوتيّة التي شهد لها الاستعمال في لغة العرب، وهي ظاهرة الإتباع الحركيّ في كلمة واحدة فيما ليس بإعراب، ومدى حضورها في العاميّة السّودانيّة الحديثة، وعلاقتها بلهجات العرب القديمة؛ لأنّ كثيرًا من اللّهجات الحديثة "مصدر أصيل يُهتدى به إلى معرفة اللّغات العربيّة القديمة"[1]؛ لذا وقع الاختيار على موضوع البحث: (ظاهرة الإتباع الحركيّ في اللَّهجة السُّودانيّة: لهجة الجَعَلِيّين أنموذجًا)؛ لمعرفة مدى شيوعها فيها، وما مواضعها؟ وما أغراضها؟ وما مدى موافقتها ومخالفتها للهجات العرب القديمة؟ وما القبائل العربيّة التي تأثّرت بلهجاتها في الإتباع الحركيّ؟ لمحاولة ربط اللّهجة الحديثة بمستوى الفصحى، فإذا "كانت العاميّة الحديثة ترتبط ارتباطًا وثيقًا باللّهجات العربيّة القديمة، فإنّها ترتبط كذلك بالفصحى"[2].

وتُعدّ أغلب اللّهجات السّودانيّة الحديثة امتدادًا للهجات قبائل شبه الجزيرة العربيّة، فهذه اللّهجات "الحديثة وإنْ كانت قد تطوّرت في البيئات العربيّة المختلفة تطوُّرًا مستقلًّا باعد بينها وصبغها بصبغة محليّة في بعض ظواهرها، فقد استمسكت بكثير من السّمات التي عُرفت عن القبائل العربيّة"[3]، التي هاجرت إلى شمال إفريقيا والسُّودان، وتعود في مجملها إلى لهجات أهل الحجاز، وقبائل الشّمال الغربيّ من قضاعة وكهلان، وقبائل شرق شبه الجزيرة من بني حنيفة من ربيعة بن نزار، وغرب نجد من قبائل بني سليم، وبني هلال، وبني فزارة، وقبائل شمال اليمن ووسطه من كهلان[4].

وعلى الرّغم من أنّ الإتباع الحركيّ سمة عامّة في اللّهجات السّودانيّة إلّا أنّني آثرت اختيار منطقة للبحث تُمثّل حدوده وبيئته، فليس المقصود تفرّدها بهذه الظّاهرة، بل وجودها في عامّة كلامهم وأنّ جميع أفرادها يشتركون فيها، ومنطقة البحث من مناطق قبائل الجَعَلِيّين التي تمتدّ من وسط السّودان إلى شماله، وتنتسب إلى إبراهيم جَعَل، وهو إبراهيم بن سعد بن فضل بن

عبد الله بن عبّاس، الذي ينتهي نسبه إلى العبّاس عم الرّسول -ﷺ- فمن ناحية جدّهم ينتسبون إلى الأرومة الهاشميّة؛ لذلك يُطلق عليهم اسم (المجموعة العبّاسيّة)[5].

ويُروى أنّ أصل تسميتهم بالجَعَلِيّين يرجع إلى أنّ جدّهم كان جوّادًا كريمًا، وأنّه كان يقول للجماعات التي تنضوي تحت لوائه: (جَعَلْنَاكُم مِنَّا)، أي: صرتم مِنَّا، فسُمّي (جَعَل).

تشتمل المجموعة الجَعَلِيَّة على الكثرة العظمى من العرب العدنانيّين، وعلى مجموعات صغيرة من بني كاهل والرَّشَايدَة، وتشتمل على عددٍ كبيرٍ جدًّا من القبائل والفروع التي تمتدّ من شمال الخُرطوم (الشّلّال السّادس) إلى مدينة دُنْقُلَا شمالًا، وعاصمتهم مدينة شَنْدِي حيث مقرّ ناظر القبيلة، وقد توزّعوا بعد ذلك في مناطق عديدة من السّودان، ويرجع توطيد مركزهم في الشّمال -تقريبًا- إلى القرن العاشر الهجريّ[6].

تناول البحث ظاهرة الإتباع الحركيّ في لهجة الجَعَلِيّين الأصليّين الذين ليس لهم اسم آخر، وقد امتدّت مواطنهم على ضفاف نهر النّيل من الشّلّال السّادس شمال الخُرطوم إلى مدينة عَطْبَرَة شمالًا، وركّز على منطقة غرب النّيل من الشّلّال السّادس إلى مدينة المَتَمَّة المقابلة لمدينة شَنْدِي على الضّفّة الغربيّة لنهر النّيل، التي تُعدّ مركزًا رئيسًا لهم أيضًا.

واتّبع البحث المنهج الوصفيّ الذي اعتمد على وصف الظّاهرة، ثمّ تحليلها، وتتبّع ما جاء منها في الفصحى في شواهد القرآن وأشعار العرب وأقوالهم، وما سمع عنهم، ثمّ توضيح ما وافقها من اللّهجات السّودانيّة وما خالفها.

وقد قسّمتُ البحث إلى ثلاثة مباحث، الأوّل: تناولت فيه إتباع الفتحةِ الفتحة، والثّاني: إتباع الكسرةِ الكسرة، والثّالث: إتباع الضّمّةِ الضّمّة.

تمهيد:

أوّلًا- مفهوم الإتباع في اللُّغة والاصطلاح

- المعنى اللُّغويّ

الإتْبَاع مصدر الفعل (أَتْبَعَ)، و"تَبِعَ الشيءَ تَبَعًا وتَبَاعًا في الأفعال، وتَبِعْتُ الشيءَ تُبوعًا: سِرْتُ في إِثْرِه، واتَّبَعَه وأَتْبَعَه وتتَبَّعه: قَفَاه وتَطلَّبه مُتَّبعًا له،... وأَتْبَعَه الشيء: جعله له تَابِعًا، وقيل: أَتْبَعَ الرجلَ: سَبَقَهُ فلَحِقَه"[7]، والإِتْبَاعُ والاتِّباعُ،... كالتَّبَعِ، ويُقال: أَتْبَعَهُ، أي حَذَا حَذْوَهُ[8].

فالجذر اللُّغويّ (تبع) أصلٌ بمعنى لحوق الشيء بمتقدّم أو سابق له، والإتباع الحركيّ قد يكون لصوت متقدّمٍ أو متأخّرٍ.

- المعنى الاصطلاحيّ

الإتباع الحركيّ نوع من أنواع المماثلة الصّوتيّة؛ لتحقيق التّوافق والانسجام بين صوتين، ويُقصد به "تأثّر الصّوائت القصيرة بعضها ببعضٍ؛ إذ يحدث أنْ يتجاور أو يتقارب صائتان قصيران في كلمة أو كلمتين، فيتأثّر أحدهما بالآخر وينقلب إلى جنسه... وهذا الضّرب من التّأثُّر قد يكون تأثُّرًا رجعيًّا أو تقدُّميًّا"[9]، وقرّر المحدثون من علماء الأصوات اللّغويّة "أنّه قد يتجاور صوتان لغويّان، ويتأثّر الأوّل منهما بالثّاني، واصطلحوا على تسمية هذا النّوع من التّأثُّر بالرَّجعيّ (Regressive)، وأحيانًا يتأثّر الصّوت الثّاني بالأوّل وسمّوا هذا بالتّأثُّر التَّقدُّميّ (Progressive)"[10].

وقد عدّ ابن جنّي مماثلة الحركات بعضها بعضًا نوعًا من الإدغام الأصغر، الذي يكون بتقريب الصّوت من الصّوت من غير إدغام، نحو: شِعِيْر، ورِغِيْف، وزِئِيْر، ومِغِيْرَة، ومِنْتِن[11].

ثانيًا- مقاصد الإتباع الحركيّ

فُسّرت ظاهرة إتباع صائت لصائتٍ عند المحدثين بأنّها مظهر من مظاهر التّطوّر اللُّغويّ الذي يحقّق نوعًا من "التّماثل أو التّقارب بين حركتين في مقطعين متجاورين، بأنْ تتّحدا في مقياس من مقاييس، وتنطقا فتحتين، أو كسرتين، أو ضمّتين"[12].

ويمكن إرجاع كثيرٍ من التّطوّرات الصّوتيّة في اللّهجات قديمها وحديثها إلى تخفيف النّطق والميل إلى الاقتصاد في الجهد العضليّ[13]؛ لتحقيق الانسجام الصّوتيّ بتوحيد اتّجاه حركات نطق اللّسان، "فالكلمة التي تشتمل على حركات متباينة تميل في تطوّرها إلى الانسجام بين هذه الحركات، حتّى لا ينتقل اللّسان من ضمٍّ إلى كسرٍ إلى فتحٍ في الحركات المتوالية، وقد برهنت الملاحظة الحديثة على أنّ النّاطق حين يقتصد في الجهد العضليّ يميل دون شعورٍ منه أو تعمُّدٍ إلى الانسجام بين حركات الكلمات"[14].

ويبدو أنّ السّرّ في ميل اللّغة إلى الانسجام الصّوتيّ أو المماثلة الصوتيّة أنّها نشأت شفويّة، واكتفي فيها أوّل الأمر بالسّماع والنّطق؛ لذلك كان لا بدّ من أنْ تُعنى كلّ العناية بهذا الانسجام[15].

ثالثًا- علاقة اللّهجات السُّودانيّة باللّهجات العربيّة القديمة

اللّهجة استعمال خاصّ لمجموعة من الصّفات اللّغويّة التي "تنتمي إلى بيئة خاصّة، ويشترك في هذه الصّفات جميع أفراد هذه البيئة، وبيئة اللّهجة هي جزءٌ من بيئة أوسع وأشمل تضمّ عدّة لهجات لكلّ منها خصائصها، ولكنّها تشترك جميعًا في مجموعة من الظّواهر اللّغويّة التي تُيسّر اتّصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعضٍ، وفَهْمِ ما قد يدور بينهم من حديثٍ فهمًا يتوقّف على قدر الرّابطة التي تربط بين هذه اللّهجات"[16].

وآثر المحدثون مصطلح اللّهجة على ما اصطلح عليه المتقدّمون (لغة)، فاللّهجة عندهم هي اللّغة التي جُبِلَ عليها الشخص واعتادها ونشأ عليها؛ لذا يقولون: لغة تميم وأهل الحجاز، ولغة أسد، ولغة هذيل وغير ذلك[17].

واللّهجات التي تنشأ في بيئة معيّنة عادة ما تكون وليدة ظروف مختلفة قد تكون جغرافيّة، أو اقتصاديّة، أو سياسيّة، أو اجتماعيّة، فهذه الظّروف هي الرّاجحة في تكوين اللّهجة السّودانيّة، ومن أهمّها: الصّراع اللّغويّ نتيجة الغزو أو الهجرات[18]، فاحتكاك اللّغات واختلاطها ضرورة تاريخيّة، فلا يكاد يتحقّق تطوّر اللّغة المستمرّ في أيّة لغةٍ في معزلٍ عن كلّ تأثيرٍ خارجيّ، فالأثر الذي يقع على لغةٍ ما من لغاتٍ مجاورةٍ لها، كثيرًا ما يكون له أثرٌ مهمٌّ في التّطوّر اللّغويّ[19].

وفي اللّهجات السّودانيّة الكثير من مظاهر هذا الاحتكاك اللّغويّ الذي أدّى إلى تشكّلها نتيجة التّداخل بين الجماعات العربيّة المهاجرة من شبه الجزيرة العربيّة، والجماعات المستوطنة، فكلّ لهجة منها مزيج من عناصر شتّى ترجع إلى عديد من اللّهجات التي حملها العرب معهم إلى مهاجرهم في السّودان، فقد دخلوا إفريقيا عن طريق البحر الأحمر منذ بداية القرن الأوّل الهجريّ (السّابع الميلاديّ)، ثمّ نزحت منهم جماعات إلى السّودان عن طريق صعيد مصر في القرون التّالية، حاملين معهم لهجاتهم التي تعرّضت للتّطوّر نتيجة لما يحدث في الهجرات من تداخلٍ لغويّ واتّصال، ثمّ انتهت إلى تلك النّماذج التي يتكلّمها السّودانيّون في الوقت الحاضر[20].

وقيل: إنّ القبائل العربيّة دخلت إلى السّودان من ثلاثة أبوابٍ هي: الباب الشّرقيّ (البحر الأحمر)، والباب الثّاني من جنوب مصر، وهو الباب الشّماليّ في وسط السّودان، ويُعدّ من أقدم الطّرق وأهمّها لدخول الثّقافة العربيّة إلى السّودان، ونزحت بواسطته القبائل العربيّة إلى مواطنها الحاليّة في السّودان الشّماليّ، وكان له الفضل الأكبر في نشر العروبة في السّودان، وهذا الطّريق يُفضي إلى مجرى النّيل، وهو الذي أدّى إلى تكوين القبائل العربيّة التي تعيش حول نهر النّيل في شمال السّودان ووسطه، وكان له تأثيره القويّ في القبائل التي لازمت نهر النّيل شمال الخرطوم وجنوبها، كما أدّى إلى تكوين مجموعة القبائل الجَعَلِيّة، التي تشتمل على الجَعَلِيّين وغيرهم، وهم من أكثر القبائل السّودانيّة عددًا ونفرًا. أمّا الباب الثّالث فهو الطّريق الشّماليّ الغربيّ، أو الطّريق اللّيبيّ، ويبدو أنّ هذا الباب لم يكن مصدرًا للثّقافة العربيّة إلا بعد الإسلام[21].

اشتملت الجماعات العربيّة التي هاجرت إلى حوض النّيل الأوسط في السّودان على المجموعتين العربيّتين، وهما: العدنانيّون، والقحطانيّون، حيث يمثّل الأولى في الوقت الحاضر الكَوَاهلة والمجموعة الجَعَلِيّة وبعض القبائل الصّغيرة الأخرى كالرَّشَايدَة، ويمثّل الثّانية المجموعة الجهنيّة.

وثمّة ظاهرة تُوجب الالتفات، وهي أنّ مناطق استيطان المجموعة الجَعَليّة من الخُرطوم إلى دُنْقُلَا غلبت عليها الصّبغة العربيّة والثّقافة العربيّة؛ وهذا يدلّ على أنّ الجماعات التي هاجرت إليهم كانت قويّةً كثيرةَ العددِ، حضريّة لا تميل إلى حياة البداوة؛ لذلك فضّلت الاستقرار في المدن على طول نهر النّيل، على حين أنّ غيرها من الجماعات حافظت على بداوتها وانتشرت في مناطق الرّعي[22].

ويجدر بنا أنْ نذكر القبائل العربيّة التي لها آثار في لهجات أهل السّودان عامّة، ومناطقها في شبه الجزيرة العربيّة[23]:

1- منطقة الشّمال الغربيّ: سكّانها جهينة وبلي من قضاعة، ولخم وجذام وغسان من بطون كهلان.

2- المنطقة الحجازيّة: منهم: قريش، وثقيف، والأوس والخزرج الذين ينتمون إلى الأزد من كهلان.

3- منطقة غرب نجد: هم بنو سليم، وبنو هلال، وبنو فزارة، وجميعهم من قيس عيلان.

4- شمال اليمن ووسطه: سكّانها قبائل من كهلان، منهم: أزد شنوءة، خثعم، بجيلة، مذحج، همدان، حمير، حضرموت.

5- منطقة اليمامة: سكّانها من بني حنيفة من ربيعة بن نزار.

ويمكننا توضيح المناطق اللُّغويّة التي لها آثار في لهجات السّودان على الخريطة الآتية[24]:

المبحث الأوّل: إتباعُ الفتحةِ الفتحة

ورد فيه نوعان من الإتباع الحركيّ، التّقدُّميّ والرّجعيّ لصوتين متجاورين وغير متجاورين.

أوّلًا- إتباع صّوتين متجاورين

حدث في الأبنية الآتية: فَعْل، وفَعْلَة، ومَفْعُول، وأَفْعَل، ومُفَعَّل، ومُفَعْلَل.

- فَعْل + فَعْلَة ← فَعَل + فَعَلَة

يغلب على لهجات السّودانيّين ظاهرة تحريك الصّوت الحلقيّ السّاكن بحركة الفتحة إتباعًا تقدُّميًّا لما قبله، وذلك في الأسماء الثّلاثيّة التي على زنة (فَعْل)، و(فَعْلَة)، نحو:

أَهْل ← أَهَل، جَهْل ← جَهَل، سَهْم ← سَهَم، شَهْر← شَهَر، الظَّهْر ← الضَّهَر[25]، فَهْد ← فَهَد، الفَهْم ← الفَهَم، المَهْر← المَهَر، النَّهْر ← النَّهَر، رَعْد ← رَعَد، صَعْب ← صَعَب، طَعْم ← طَعَم[26]، البَحْر ← البَحَر[27]، شَحْم ← شَحَم[28]، فَحْل ← فَحَل، اللَّحْم ← اللَّحَم، النَّخْل ← النَّخَل، زَهْرة ← زَهَرَة، شَعْرَة ← شَعَرَة، صَعْبَة ← صَعَبَة، نَخْلَة ← نَخَلَة، نَعْجَة ← نَعَجَة.

أمّا إذا كانت عين الكلمة السّاكنة ليست من الأصوات الحلقيّة، فلا تتبع فتحة الفاء، بل تُحرّك العين للتخفيف من ثقل السّكون **بالضّمّ**، فتُرَدّ صيغة (**فَعْل ← فَعُل**)، نحو: أَجْرٍ← أَجُر، بَدْر← بَدُر، بَطْن ← بَطُن، تَمْر← تَمُر، دَلْو← دَلُو، رَطْل← رَطُل[29]، الشَّطْر← الشَّطُر[30]، الصَّقْر← الصَّقُر، العَصْر← العَصُر، عَقْل← عَقُل، الفَجْر← الفَجُر، الفَضْل← الفَضُل، القَبْر← القَبُر، النَّصْر← النَّصُر، أو **بالكسر** (**فَعْل ← فَعِل**)، نحو: الأَكْل← الأَكِل، أَمْس← أَمِس، البَرْد← البَرِد، حَبْل← حَبِل، حَرْب← حَرِب، الدَّرْس← الدَّرِس، الذَّبْح← الضَّبِح، الذَّنْب← الزَّنِب، السَّمْن← السَّمِن، الشَّمْس← الشَّمِش، الضَّرْب← الضَّرِب، العَبْد← العَبِد، الفَتْح← الفَتِح، القَلْب← القَلِب، القَمْح← القَمِح، كَبْد← كَبِد، كَلْب← كَلِب، نَجْم← نَجِم، وَجْه← وَجِه، وَصْف← وَصِف.

وظاهرة ميل الأصوات الحلقيّة إلى الفتح إتباعًا لما قبلها قديمة في لغات العرب ولهجاتهم، وجاءت عليها قراءات قرآنيّة، منها قراءة سهل بن شعيب النّهميّ: (جَهَرة)، و(زَهَرة)[31]، قال ابن جنّي في معرض حديثه عن هذه القراءة: "مذهب أصحابنا في كلّ شيءٍ من هذا النّحو ممّا فيه حرف حلقيّ ساكن بعد حرف مفتوح: أنّه لا يحرّك إلا على أنّه لغة فيه، كالزَّهْرَة والزَّهَرَة، والنَّهْر والنَّهَر، والشَّعْر والشَّعَر، فهذه لغات عندهم كالنَّشْز والنَّشَز، والحَلْب والحَلَب، والطَّرْد والطَّرَد، ومذهب الكوفيّين فيه أنّه يحرّك الثّاني؛ لكونه حرفًا حلقيًّا، فيجيزون فيه الفتح وإنْ لم يسمعوه، كالبَحْر والبَحَر والصَّخْر والصَّخَر، وما أرى القول من بعد إلّا معهم، والحقّ فيه إلّا في أيديهم... ولعمري

إنّه هو الأصل؛ لكن أصل مرفوض...، فعلى هذا يكون جَهَرة وزَهَرة -إنْ شئت- مبنيًّا في الأصل على (فَعَلَة)، وإنْ شئت كان إتباعًا"[32].

ونلحظ أنّ البصريّين قد قصروا هذه الظّاهرة على المسموع فقط دون غيره، أمّا الكوفيّون فقد توسّعوا فيها وجعلوها قياسًا مطّردًا في كلّ صوت حلقيّ ساكن، فعندهم شملت المسموع وغير المسموع، وهذا ما مالَ إليه ابن جنّي، وهو واقع أغلب اللّهجات في وقتنا الحاضر، وقال في موضع آخر مؤكّدًا ذلك: "ولعمري إنّ هذا عند أصحابنا ليس أمرًا راجعًا إلى حرف الحلق، لكنّها لغات، وأنا أرى في هذا رأي البغداديّين [الكوفيّين] في أنّ حرف الحلق يؤثر هنا من الفتح أثرًا معتدًّا معتمدًا"[33].

وقد سُمعت هذه اللّهجة عند قبيلة عُقيل، قال ابن جنّي: "وذلك أنّني سمعت عامّة عُقَيل تقول ذاك ولا تقف فيه سائغًا غير مستكره"[34]، وقال في موضع آخر: "فلقد رأيت كثيرًا من عُقيل لا أحصيهم يحرّك من ذلك ما لا يتحرّك أبدًا لولا حرف الحلق"[35].

فإذا كانت هذه اللّهجة قد سُمعت عند عامّة قبيلة عُقيل أو أكثرهم، فإنّ قبيلة عُقيل من القبائل التي عاشت بالقرب من قبائل منطقة غرب نجد التي هاجرت إلى السّودان، مثل: بني سليم، وبني هلال، وبني فزارة، وجميعها عدنانيّة من قيس عيلان، فيبدو أنّ لهجة عُقيل وصلت إلى السّودان عن طريق هذه القبائل المجاورة لها على الرّغم من وجود ظاهرة تسكين عين الاسم الثّلاثيّ عامّة بنسبة قليلة جدًّا في بعض لهجات أهل غرب السّودان ونُسبت إلى بني هلال وبني سليم[36]، الذين هاجروا في القرن الخامس الهجريّ إلى إفريقيا والمغرب والسّودان[37]، إلّا أنّ القوانين التي تخضع لها اللّهجات ليست أمرًا ملزمًا، فعادة ما يكتفي اللّغويّ حين يحكم على صفات لهجة من اللّهجات بالحكم على الكثرة الغالبة من صفاتها[38].

وفيما سبق ذكره من أمثلة نلحظ أنّ صيغتي (فَعْل) و(فَعْلَة) تطوّرتا صوتيًّا بقانون المماثلة الصّوتيّة إلى (فَعَل) و(فَعَلَة)؛ وذلك بإضافة صائتٍ إتباعًا للمقطع الأوّل؛ لتحقيق نوعٍ من التّوافق

بين صوتين في مقطعين متجاورين، فوجود حركة الفتحة (صوت اللّين) مع الصّوت الحلقيّ له علاقة بالمقاطع؛ لتسكين الصّوت الأخير؛ لأنّ اللّهجة العاميّة تُسقط علامة الإعراب وتلتزم بالسّكون، وحينها يلتقي ساكنان قد يكون الإتباع وسيلة للتخلّص من أحدهما[39].

فعلى سبيل المثال نجد كلمة (شَهْر) بالإتباع الحركيّ تحوّلت إلى (شَهَرْ)، وتكوّنت من مقطعين (شَ/هَرْ) أوّلهما: صوت الشّين المتحرّك (ص ح)، وثانيهما: الهاء مع الرّاء (ص ح ص)، وهو مقطع طويل مغلق حركته قصيرة؛ لذلك حُرّكت عين الكلمة بالفتح لتناسب الصّوت الحلقيّ؛ لوقوعها معه في مقطع واحد؛ وذلك من أجل طريقة نطق الأصوات الحلقيّة التي تميل إلى صوت الفتحة المتّسعة؛ لأنّها أوضح من الأصوات الضّيّقة، مثل: الضّمّة والكسرة[40].

وعلّة ميل الأصوات الحلقيّة إلى الفتح القصد منها التّخفيف من النّطق بالسّكون الذي يتعارض مع اتّساع مخرجها؛ لأنّ "السّكون عبارة عن خلوّ العضو من الحركات عند النّطق بالحرف، فلا يحدث بعد الحرف صوت فينجزم عند ذلك، أي: ينقطع"[41]، وينحبس معه "الهواء انحباسًا محكمًا فلا يسمح له بالمرور لحظة من الزّمن"[42]، وقد وضّح إبراهيم أنيس ذلك بقوله: "وقد فطن الأقدمون من علماء اللّغة إلى ميل الأصوات الحلقيّة إلى الفتحة، وأقرّهم على هذا المستشرقون، وقد ظهر هذا الميل بصورة أوضح في اللّغة العبريّة. أمّا السّرّ فيه، فهو أنّ كلّ أصوات الحلق بعد صدورها من مخرجها الحلقيّ تحتاج إلى اتّساع مجراها بالفم فليس هناك ما يعوق هذا المجرى في زوايا الفم؛ ولهذا ناسبها من أصوات اللّين أكثرها اتّساعًا وتلك هي الفتحة"[43].

إذن القصد من تحريك السّاكن بحركة مماثلة هو تخفيف النّطق وتسهيله بالتّجانس الصّوتيّ؛ لاقتصاد الجهد العضليّ فيه، إضافة إلى الميل إلى تفخيم الصّوت السّاكن من أجل نسبة الوضوح السّمعيّ، فقد لاحظ المحدثون "أنّ الأصوات السّاكنة على العموم أقلّ وضوحًا في السّمع من أصوات اللّين، فأصوات اللّين تُسمع من مسافة عندها قد تُخفى الأصوات السّاكنة أو

يُخطأ في تمييزها، فالفتحة مثلًا (وهي صوت لين قصير) تُسمع بوضوح من مسافة أبعد كثيرًا ممّا تُسمع عندها الفاء؛ ولهذا عدّ الأساس الذي بني عليه التّفرقة بين الأصوات السّاكنة وأصوات اللّين أساسًا صوتيًّا، وهو نسبة وضوح الصّوت في السّمع"[44].

وهذا ما مالت إليه اللّهجة السّودانيّة؛ لأنّ السّمة الغالبة عليها تحريك عين الاسم الثّلاثيّ السّاكنة؛ لتفخيمه حرصًا على الوضوح السّمعيّ؛ وذلك بإعطائه حركة تعين على إظهاره والإجهار به، وهذه الظّاهرة ترجع في أكثر حالاتها إلى مصادر حجازيّة وشمال غربيّة، وعرفت قديمًا في اللّغة العبريّة؛ وذلك لحرصهم على وضوح الأصوات في السّمع باستعمال أصوات اللّين[45].

- مَفْعُول ← مَفَعُول

امتدّت ظاهرة تحريك الصّوت الحلقيّ السّاكن بحركة فتحة ما قبله إلى اسم المفعول، فقد تحوّلت صيغة (مَفْعُول) إلى (مَفَعُول) بالإتباع الحركيّ التّقدّميّ بين حركة فاء الكلمة وحركة المورفيم الصّرفيّ السّابق لها، وذلك نحو:

مَحْبُوب← مَحَبُوب، مَحْجُوب← مَحَجُوب، مَحْفُوظ ← مَحَفُوظ، مَحْمُود← مَحَمُود، مَحْمُوم← مَحَمُوم، مَخْدُوع← مَخَدُوع، مَخْدُوم← مَخَدُوم، مَخْلُوق← مَخَلُوق، مَعْرُوف← مَعَرُوف، مَعْلُوم← مَعَلُوم، مَعْيُون← مَعَيُون، مَغْبُون← مَغَبُون، مَغْدُور← مَغَدُور، مَغْمُور← مَغَمُور، مَهْمُوم← مَهَمُوم، المَهْدِيّ← المَهَدِيّ.

فإتباع الفتحة الفتحة حدث للتوافق بين مقطعين متجاورين؛ ليكون المقطع الأوّل من (مَفْعُول) مقطعين قصيرين مفتوحين بديلين لمقطع طويل مغلق حركته قصيرة، وذلك على النّحو الآتي:

– قبل الإتباع الحركيّ: (مَفْ/عُو/لُ) ← (مَفْ = ص ح ص) ← مقطع طويل مغلق حركته قصيرة.

– بعد الإتباع الحركيّ: (مَ/فَ/عُو/لُ) ⟵ (مَ + فَ = ص ح + ص ح) مقطعان قصيران مفتوحان.

والقصد من ذلك التّخفيف ووضوح الصّوت في السّمع بصورة أوضح ممّا كان قبل الإتباع.

أمّا إذا كان الصّوت السّاكن من غير الأصوات الحلقيّة، فلا يتبع حركة ما قبله، فيقال: (مَبْحُوس (مَبْحُوث)، مَجْنُون، مَدْرُوس، مَزْكُور (مَذْكُور)، مَرْزُوق، مَزْجُور، مَسْتُور، مَشْدُود، مَصْدُوم، مَضْرُوب، مَطْلُوب، مَظْلُوم، مَفْهُوم، مَقْهُور، مَكْتُوب، مَلْطُوم، مَمْدُود، مَنْصُور، مَوْجُود، مَيْسُور)، جميعها بتسكين فاء (مَفْعُول)؛ لأنّ أغلبها أصوات مجهورة، فالأصوات السّاكنة ليست جميعها ذات نسبة واحدة في الوضوح السّمعيّ، بل منها الأوضح كالأصوات المجهورة فهي أوضح من المهموسة[46]، "ومن النّتائج التي حقّقها المحدثون أنّ اللّام والميم والنّون أكثر الأصوات السّاكنة وضوحًا، وأقربها إلى طبيعة أصوات اللّين؛ لذا يميل بعضهم إلى تسميتها (أشباه أصوات اللّين)، ومن الممكن أنْ تُعدّ حلقة وسطى بين الأصوات السّاكنة وأصوات اللّين، ففيها من صفات الأولى أنّ مجرى النّفس معها تعترضه حوائل، وفيها أيضًا من صفات أصوات اللّين أنّها لا يكاد يُسمع لها أيّ نوع من الحفيف"[47].

ومن الأصوات السّاكنة السّابقة ما هو صوت رخو أو احتكاكيّ له صفير واضح مسموع، مثل: السّين، والزّاي، والصّاد، والشّين، والذّال، والظّاء، والفاء[48]، كما ينطق صوت القاف في اللّهجة السّودانيّة صوتًا مجهورًا كنطق (G)من (Go).

قد نسب ابن جنّي ظاهرة الإتباع التّقدّميّ لحركة فاء (مَفْعُول) السّاكنة إذا كانت صوتًا حلقيًّا إلى لهجة عُقيل، قال: "حتّى لسمعتُ الشَّجريّ يقول: (أنا مَحَمُوم) بفتح الحاء، وليس أحد يدّعي أنّ في الكلام (مَفَعُول) بفتح الفاء"[49].

وإذا كانت فاء (مَفْعُول) همزة ساكنة، فإنّها تحذف ويُعوّض عنها بإطالة صوت اللّين[50]، أي بصوت ممدود مماثل لحركة ما قبله؛ ليكون المقطع الأوّل مجانسًا للمقطع الثّاني، فيصيران

مقطعين طويلين مفتوحين (ص ح ح + ص ح ح)، بدلًا عن (ص ح ص + ص ح ح)، فالمقطع الأوّل كان طويلًا مغلقًا حركته قصيرة، وذلك نحو: مَأْثُور← مَاسُور، مَأْخُوذ ← مَاخُود، مَأْسُور← مَاسُور، مَأْكُول ← مَاكُول، مَأْمُور← مَامُور، مَأْمُون ← مَامُون.

وظاهرة تسهيل الهمزة "من ظواهر التّطوّر الصّوتيّ في كلّ اللّغات السّاميّة"[51]، القصد منها التّخفيف، يقول سيبويه: "وإذا كانت الهمزة ساكنة وقبلها فتحة، فأردت أنْ تخفِّفَ أبدلت مكانها ألفًا، وذلك قولك في رَأْسٍ، وبَأْسٍ، وقَرَأْت: رَاس، وبَاس، وقَرَات"[52]؛ لكون النّطق بها لا يحتاج إلى جهدٍ عضليّ كبير، وتعدّ قياسًا مطّردًا في القراءات القرآنيّة[53]، وقد قرأ أبو جعفر: (فَأْتُوهُنَّ، فَأْذَنُوا، وَآتَوْا، وَأْمُرْ أَهْلَكَ، وَمَأْوَى، وَإِنْ يَشَأْ) بتسهيل الهمزة فيها بصوت مَدٍّ بحسب حركة ما قبله[54].

وترجع هذه الظّاهرة الصّوتيّة إلى النَّبر، فلهجة قريش وأكثر أهل الحجاز من مكّة والمدينة تميل إلى تّخفيف النّبر بالحركة الطّويلة، أمّا لهجة تميم وقيس وبني أسد، فإنّها تتميّز بالنّبر بهمز أصوات المدّ، أي بتحقيق الهمزة[55].

فظاهرة تحقيق الهمزة وتسهيلها ترتبط بتحضُّر القبائل وبداوتها، فالقبائل التي تُحقّق الهمزة هي التي كانت تعيش في البادية، أمّا قبائل التّسهيل فهي القبائل المتحضّرة التي كانت في الحجاز، وبخاصة قريش في مكّة، والأوس والخزرج في المدينة[56]، وهذا لا ينفي وجود ظاهرة التّحقيق عند أهل الحجاز، لكنّها قليلة وباضطرار كما قال سيبويه: "وقد بلغنا أنَّ قومًا من أهل الحجاز من أهل التّحقيق يحقّقون نبيء وبريئة، وذلك قليلٌ رديء"[57].

والعلّة الصّوتيّة لهذا الإتباع هي الوضوح السّمعيّ لبروز الصّوت؛ لأنّ أصوات المدّ أصوات انطلاقيّة مجهورة، بل هي أعلى الأصوات إسماعًا؛ خلافًا للهمزة التي تُعدّ من أخفض الأصوات

إسماعًا[58]. أمّا من ناحية التّخفيف والتّثقيل فالهمزة أثقل نطقًا من أصوات المدّ؛ لأنّها "حرفٌ شديدٌ مستثقلٌ يخرج من أقصى الحلق؛ إذ كان أدخلَ الحروف في الحلق فاستُثقل النّطقُ به؛ إذ كان إخراجُه كالتّهوُّع؛ فلذلك من الاستثقال ساغ فيها التّخفيفُ، وهو لغةُ قريش وأكثر أهل الحجاز، وهو نوع استحسان لثقل الهمزة، والتّحقيق لغة تميم وقَيْس، قالوا: لأنّ الهمزة حرفٌ فوجب الإتيان به كغيره من الحروف"[59]؛ لذلك مالت القبائل البدويّة إلى ما هو أثقل، والمتحضّرة إلى ما هو أخفّ، وآثرت اللّهجة السّودانيّة الخفّة؛ لتأثّرها بلهجة القبائل الحجازيّة التي مالت إلى التّخفيف بتسهيل الهمزة؛ ليزداد الصوت وضوحًا، وهذا التّأثُّر سببه أنّ الجماعات العربيّة التي هاجرت واستقرّت في المدن على ضفاف النّيل كانت حضريّة لا تميل إلى حياة البداوة، فجاءت لهجاتها منسجمة مع طبيعتها وفطرتها.

- أَفْعَل ← أَفَعَل

لم تقف ظاهرة الإتباع التّقدُّميّ لحركة الصّوت الحلقيّ السّاكن للصوت الأوّل عند اسم المفعول فحسب، بل تجاوزته إلى بناء الصّفة المشبّهة للمذكّر (أَفْعَل) لتتحوّل بالإتباع إلى (أَفَعَل)؛ للتجانس الصّوتيّ بين المقطعين المتجاورين، وذلك نحو: أَحْمَر← أَحَمَر، أَحْمَق← أَحَمَق، أَحْوَص← أحَوَص، أَحْوَل← أَحَوَل، أَخْضَر← أَخَدَر، أَخْرَس← أَخَرَس، أَعْرَج← أَعَرَج، أَعْمَى← أَعَمَى، أَعْوَر← أَعَوَر، أَغْبَش← أَغَبَش، أَغْلَف ← أَغَلَف.

فبما أنّ السّكون حذف للحركة، فقد أُستُعيض عنه بصوت اللّين (الفتحة)، التي تناسب الأصوات الحلقيّة في سعة المخرج، أمّا إذا كان الصّوت السّاكن غير حلقيّ، فلا يُحرّك بل يبقى على سكونه، نحو: **(أَبْرَص، أَبْيَض، أَدْهَم، أَزْرَق، أَسْوَد، أَصْفَر)**؛ لمناسبته لهذه الأصوات التي لا تحتاج إلى زيادة صوتٍ لتتضح سمعيًّا. كما لم يحدث تغيّر لصيغة المؤنّث (فَعْلَاء)؛ لأنّ الصّوت السّاكن ليس حلقيًّا، مثل: حَمْرَاء، وخَضْرَاء، وصَفْرَاء، وعَوْرَاء.

- مُفَعَّل ← مَفعَّل + مُفعْلَل ← مَفعْلَل

غلب على اللّهجة السّودانيّة إتباع الفتحة الفتحة الرّجعيّ في صيغة اسم المفعول من الفعل الثّلاثيّ المزيد بالتّضعيف، ومن الفعل الرّباعيّ المضاعف وغيره، فمن النّوع الأوّل:

مُأَمَّن← مَأَمَّن، مُبَخَّر ← مَبَخَّر، مُتَلَّج ← مَتَلَّج، مُجَنَّد ← مَجَنَّد، مُحَرَّم ← مَحَرَّم، مُحَسَّن ← مَحَسَّن، مُحَلَّل ← مَحَلَّل، مُحَمَّد ← مَحَمَّد، مُخَتَّم ← مَخَتَّم، مُخَلَّط ← مَخَلْبَت، مُدَرَّب ← مَدَرَّب، مُرَبَّط ← مَرَبَّط، مُرَقَّد ← مَرَقَّد، مُسَفَّر ← مَسَفَّر، مُسَلَّح ← مَسَلَّح، مُشَرَّط ← مَشَرَّط، مُطَرَّز← مَطَرَّز، مُظَرَّف ← مَظَرَّف، مُعَلَّم ← مَعَلَّم، مُكَرَّم ← مَكَرَّم، مُكَسَّر← مَكَسَّر، مُكَلَّم ← مَكَلَّم، مُلَوَّن← مَلَوَّن، مُمَدَّد ← مَمَدَّد، مُنَوَّم ← مَنَوَّم، مُهَدَّد ← مَهَدَّد.

ومن النّوع الثّاني: مُجَهْجَه ← مَجَهْجَه، مُدَرْدَح ← مَدَرْدَح، مُدَرْدَر← مَدَرْدَر، مُدَرْدَق ← مَدَرْدَق، مُدَرْدَم ← مَدَرْدَم، مُدَلْدَل← مَدَلْدَل، مُدَلْدَم ← مَدَلْدَم، مُذَبْذَب← مَذَبْذَب، مُلَحْلَح ← مَلَحْلَح[60].

قد قرأ الحسن البصريّ على هذه اللّهجة قوله تعالى: ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [النّساء: 142]، بفتح الميم والذّال (مَذَبْذَبِينَ)، وردّها ابن عطيّة بقوله: "وهي قراءة مردودة"[61]، واعترض عليه أبو حيّان بأنّ الحسن البصريّ "من أفصح النّاس يحتجّ بكلامه، فلا ينبغي أنْ تُردّ قراءته، ولها وجه في العربيّة، وهو أنّه أتبع حركة الميم بحركة الذّال، وإذا كانوا قد أتبعوا حركة الميم بحركة عين الكلمة في مثل: (مِنْتِن) وبينهما حاجز، فلأنْ يتبعوا بغير حاجزٍ أولى، وكذلك أتبعوا حركة عين (مُنْفَعِل) بحركة اللّام في حالة الرّفع، فقالوا: (مُنْحَدُر) وهذا أولى؛ لأنّ حركة الإعراب ليست ثابتة خلاف حركة الذّال، وهذا كلّه توجيه شذوذ، وعلى تقدير صحّة النّقل عن الحسن أنّه قرأ بفتح الميم"[62].

فاعتراض أبي حيّان يبيّن لنا جواز هذا النّوع من الإتباع، وربطه بفصاحة الحسن البصريّ الذي يُحتجّ بكلامه. كما نلحظ أنّ النّطق بالفتح إتباعًا أخفّ من ثقل النّطق بالضّمّ ثمّ الفتح، وفيه اقتصاد للجهد العضليّ، وقد رُدّت أغلب "التّطوّرات اللّغويّة في اللّغة العربيّة إلى ما سمّوه ثقل الصّوت أو خفّته، فقد نسبوا الخفّة إلى الفتحة، والثّقل إلى الضّمّة والكسرة"[63].

ويبدو أنّ الميل إلى الخفّة هنا يعود إلى لهجة أهل الحجاز التي تأثّرت بها اللّهجة السّودانيّة؛ لأنّ الحسن البصريّ نشأ بالمدينة وحفظ كتاب الله في خلافة عثمان ﷺ[64].

ثانيًا- إتباع صوتين غير متجاورين

هناك نوع من إتباع الفتحة الرّجعيّ لفتحةٍ طويلة غير مجاورة، فُصِل بينهما بصوت ساكن، نحو: **إِبْرَاهِيْم ← أَبْرَاهِيْم، إِصْبَع ← أَصْبَع.**

- إِبْرَاهِيْم ← أَبْرَاهِيْم:

(إِبْرَاهِيم) اسم أعجميّ جامد، معناه بالعبريّة: الأب في الأعالي[65]، فهو مكوّن من (أَبٍ) العربيّة السّاميّة مضافة إلى ما بعدها، فالجزء الأوّل منه عربيّ، والثّاني كَلْدَانِيّ، أو من لغة أخرى من فروع السّاميّة أخوات العربيّة، أصله: (أَبْرَام) بفتح الهمزة، سمّاه الله لذريته (إِبْرَاهِيم) بدل الأصل (أَبْرَام)، ويقال: معناه أبو الجمهور، أي: أبو الأُمَّة[66]، وقيل: (إِبْ) بالسّريانيّة معناه (أَبْ)، و(رَاهِيم) بمعنى (رَحِيم)، أي: (أَبٌ رَحِيمٌ)، والاسم الأعجميّ إذا عرّب يُتكلَّم فيه بلغات مختلفة، ففي (إبراهيم) سبع لغات، هي: إِبْرَاهام، وإِبْراهُوم، وإِبْرَاهَم، وإِبْرَاهُم، وإِبْرَاهِم، وأَبْرَهَم، وإِبْرُهُم[67].

فهمزة (إِبْرَاهِيم) المكسورة أصلها الفتح، وأنّ (إِبْ) المكسورة الهمزة هي (أَبٌ) المفتوحة الهمزة في (أَبْرَام)[68]؛ لذا نُطق به في اللّهجة السّودانيّة على الأصل إتباعًا رجعيًّا لفتحة الرّاء، وبينهما حاجز من أجل الانسجام الصّوتيّ، "ففي ظاهرة الانسجام نستطيع دائمًا أنْ نميّز الأصل من الفرع، وأنْ نتبيّن ما كانت عليه الكلمة وما صارت إليه"[69].

وعلّة هذا الإتباع الميل إلى التّخفيف؛ لتسهيل النّطق، والاقتصاد في الجهد العضليّ؛ لكيلا ينتقل اللّسان من الكسر إلى السّكون إلى الفتح.

- **إِصْبَع ← أَصْبَع**[70]

وردت كلمة (الإِصْبَع) في المعاجم على عشرة أبنية مختلفة لاختلاف لهجات العرب ولغاتها، ذكر الجوهريّ منها خَمْسة قال: "الإصْبَعُ يذكَّر ويؤنَّث، وفيه لغات: إِصْبَعٌ وأُصْبَعٌ بكسر الهمزة وضمّها والباء مفتوحة فيهما، ولك أنْ تُتْبِعَ الضّمّة الضّمّة، فتقول: أُصْبُع، ولك أنْ تُتْبِعَ الكسرة الكسرةَ فتقول: إِصْبِع، وفيه لغة خامسة: أَصْبِع، مثال: اَضْرِبْ"[71]، وذكر الصّغانيّ بنائين، قال: "والسّادسة إِصْبُع بكسر الهمزة وضمّ الباء، وأَصْبَع تُتْبع الفتحةَ الفتحة"[72]، وذكر الفيروز آباديّ ثلاثة أبنية هي: أَصْبُع، أُصْبِع، أُصْبُوع، وقال: "الإِصْبَعُ، مُثلَّثة الهمزة، ومع كلّ حركةٍ تُثلَّث الباء: تسع لغاتٍ، والعاشر: أُصْبُوع بالضّمّ"[73].

لقد آثرت اللّهجة السّودانيّة لهجة القبائل العربيّة التي تميل إلى التّخفيف وأسهل السُّبل في النّطق بفتح الهمزة، لكنّها تختلف في حركة الباء، فبعضها يؤثر الضّمّ، والآخر يؤثر الكسر، ثمّ تطوّرت لهجة كلّ منهما إلى الأخفّ (أَصْبَع)؛ للانسجام بين الحركات في الكلمة[74]، وذلك على النّحو الآتي:

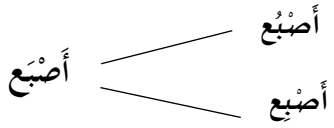

المبحث الثَّاني: إتباع الكسرةِ الكسرة

اشتمل على الإتباع التّقدُّميّ والإتباع الرّجعيّ لصوتين متجاورين وغير متجاورين.

أوّلًا- إتباع صوتين متجاورين

جمع بين أفعال ثلاثيّة مجرّدة، وأسماء ثلاثيّة وغير ثلاثيّة، منها ساكن الوسط ومنها المتحرّك، على وزن (فِعْلٍ)، (فُعْلٍ)، (فَعِلٍ)، (فَعِلَ)، (فُعِلَ)، (فَعَلَ)، (فُعُول)، وذلك على النّحو الآتي:

- فِعْل ← فِعِل

نحو: إِذْن ← إِزِن، اِسْم ← اِسِم، بِكْر ← بِكِر، جِسْم ← جِسِم، جِلْد ← جِلِد، جِنْس ← جِنِس، حِبْر ← حِبِر، حِبْن ← حِبِن، حِمْل ← حِمِل، دِرْع ← دِرِع، السِّجْن ← السِّجِن، السِّحْر ← السِّحِر، السِّدْر ← السِّدِر، سِعْر ← سِعِر، عِجْل ← عِجِل، عِطْر ← عِطِر، عِقْد ← عِقِد، العِلْم ← العِلِم، القِرْد ← القِرِد، مِسْك ← مِسِك، الوِرْد ← الوِرِد.

فإذا كانت لغة بكر بن وائل وكثير من بني تميم تسكين عين ما كان أصله على وزن (فِعِل)، نحو قولهم في (إِبِل): (إِبْل) طلبًا للخفّة؛ لكون الكسرتين تُكرهان عندهم كما تُكره الياءان في مواضع[75]، فهذا يعني أنّ إتباع الكسرة الكسرة فيما أصله (فِعْل) فيه ثقل في النّطق، لكنّه يُسهّل عمل اللّسان من وجهٍ واحدٍ، ويُعدّ تطوّرًا صوتيًّا بقانون المماثلة الصّوتيّة إلى (فِعِل)؛ وذلك بإضافة صائتٍ إتباعًا للمقطع الأوّل؛ لتحقيق التّوافق بين صوتين في مقطعين متجاورين، وقد يكون الإتباع وسيلة للتخلّص من أحد الصّوتين السّاكنين؛ بسبب إسقاط علامة الإعراب في اللّهجات والالتزام بالسّكون.

وقد عزاه الجوهريّ إلى ضرورة الشّعر التي تستدعي الخروج عن الأصل، قال: "وأمّا قول الهذليّ:

إذا تَجاوَبَ نَوْحٌ قَامَتَا مَعَهُ ضَرْبًا أَليمًا بِسِبْتٍ يَلْعَجُ الجِلِدا

فإنّما كسر اللّام ضرورة؛ لأنّ للشاعر أنْ يحرّك السّاكن في القافية بحركة ما قبله، كما قال:

عَلَّمَنَا إِخْوَانُنَا بَنُو عِجِلْ شُرْبَ النَّبِيذِ وَاعْتِقَالًا بالرِّجِلْ"[76].

وكذلك قول رؤبة:

إنْ تُشْفَ نَفْسِي مِنْ حَزَازَاتِ الْحَسَكْ أَجْزِ بِهَا أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ الْمِسِكْ[77]

وقد نسبت هذه اللّهجة إلى هذيل[78]، ولعلّ ما يؤكّد نسبتها إليها أنّ الشّاهد الأوّل لأحد شعرائها، وهو عبد مناف بن ربع الهذليّ.

وما سبق يشير إلى ميل اللّهجة السّودانيّة في النّطق إلى التّثقيل الذي مالت إليه قبيلة هذيل العدنانيّة التي سكنت في الحجاز، فالتّأثُّر بها لم يكن مباشرًا؛ لكونها ليست من القبائل التي هاجرت إلى شمال إفريقيا، فيبدو أنّه ناتجٌ عمّا جاورها من القبائل المهاجرة.

- **فُعْل ← فِعِل**

لقد امتدّ إتباع الكسرة الكسرة إلى صيغة **(فُعْل)**، فتحوّلت إلى **(فِعِل)** لفظًا لا معنًى، نحو:

الحُلْم ← الحِلِم، الدُّهْن ← الدِّهِن، العُرْس ← العِرِس.

فالتّغيّر الذي حدث لصيغة (فُعْل) مرّ بثلاث مراحل، هي: **فُعْل ← فِعْل ← فِعِل**، نحو:

الحُلْم ← الحِلْم ← الحِلِم.

الدُّهْن ← الدِّهْن ← الدِّهِن.

العُرْس ← العِرْس ← العِرِس.

ومسوّغ التّغيّر من (فُعْل ← فِعْل) أنّ الضّمّ والكسر يشتركان في كثير من الظّواهر اللّغويّة؛ لأنّهما متشابهان من النّاحية الصّوتيّة، فهما صوتا لين ضيّق بينهما تقارب عضويّ في المقياس العامّ للصوت، ففي النّطق بصوت الكسر يصعد اللّسان نحو الحنك الأعلى، بحيث يكون الفراغ بينهما كافيًا لمرور الهواء، دون أنْ يحدث أي نوعٍ من الحفيف، أمّا الضّمّ فموضعه مع آخر ما يصعد إليه أقصى اللّسان نحو أقصى الحنك؛ ليكون الفراغ بينهما من السّعة التي لا يحدث معها لمرور الهواء أي نوعٍ من الحفيف[79]، فكمية الهواء التي يُسمح لها بالمرور في الصّوتين تكاد تكون متساوية؛ لذا كان من السّهل حدوث هذا التّغيّر من الضّمّ إلى الكسر؛ لأنّ الضّمّة "تحتاج إلى

جهد عضليّ أكثر؛ لأنّها تتكوّن بتحرّك أقصى اللّسان، في حين أنّ الكسرة تتكوّن بتحرّك أدنى اللّسان، وتحرّك أدنى اللّسان أيسر من تحرّك أقصاه"[80].

وإيثار اللّهجة السّودانيّة لكسر الصوت الأوّل دون الضّمّ مسوّغه التّخفيف الذي يرجع إلى الاختلاف اللّهجيّ بين أهل الحجاز وتميم، فقبائل الحجاز بوجهٍ عامٍّ وبعض من عاش بقربهم من فزارة التي تنتمي إلى قبيلة غطفان كانوا يميلون إلى الكسر لخفّته، في حين أنّ قبائل تميم ومن على شاكلتهم من قبائل وسط الجزيرة وشرقها، مثل: أسد وقيس وبكر كانوا يميلون إلى الضّمّ لثقله؛ وهذا يعود إلى طبيعة العرب الحضريّة والبدويّة، فالميل إلى صوت الكسر دليل على التّحضُّر والرّقّة، أمّا الضّمّ فهو مظهر من مظاهر الخشونة البدويّة[81]، وميل اللّهجة السّودانيّة إلى الكسر في هذا النّوع من الإتباع دليل على تأثّرها بلهجات القبائل المتحضّرة من أهل الحجاز.

أمّا الإتباع التّقدّميّ لكسر الصّوت الثّاني للأوّل الذي وقع بين (**فِعْل ← فِعِل**)، فهو من باب المماثلة الصوتيّة كما سبق.

- **فَعِل ← فِعِل**

وردت صيغة (فِعِل) بإتباع الكسرة الكسرة إتباعًا رجعيًّا على صورة الاسم والفعل، **فالاسم**، نحو: الخَضِر← الخِضِر، الرَّحِم← الرِّحِم، الضَّحِك← الضِّحِك، اللَّعِب← اللِّعِب، النَّمِر← النِّمِر.

و**الفعل**، نحو: بَخِلَ ← بِخِلْ، بَعِدَ[82]← بِعِدْ، تَعِسَ ← تِعِسْ، تَلِفَ ← تِلِفْ، حَرِدَ ← حِرِدْ، حَرِقَ ← حِرِقْ[83]، خَجِلَ ← خِجِلْ، خَرِبَ ← خِرِبْ، خَرِفْ ← خِرِفْ[84]، خَسِرَ ← خِسِرْ، رَضِعَ ← رِضِعْ، رَعِفَ ← رِعِفْ[85]، رَكِبَ ← رِكِبْ، شَرِبَ ← شِرِبْ، شَهِدَ ← شِهِدْ، صَغِرَ ← صِغِرْ، ضَحِكَ ← ضِحِكْ، عَرِفَ ← عِرِفْ، عَقِلَ ← عِقِلْ، غَرِقَ ← غِرِقْ، فَهِمَ ←

فِهِمْ، كَبِرَ[86] ← كِبِرْ، لَبِسَ ← لِبِسْ، لَعِبَ ← لِعِبْ، مَرِضَ ← مِرِضْ، نَعِسَ ← نِعِسْ[87]، وَحِلَ ← وِحِل، وَسِخَ ← وِسِخْ، وَسِعَ ← وِسِعْ، وَهِمَ ← وِهِمْ، يَبِسَ ← يِبِسْ.

فالإتباع هنا رجعيّ تأثّر فيه الصّوت الأوّل بالثّاني، وقد ذكره سيبويه تحت عنوان: (هذا باب الحروف السّتة إذا كان واحد منها عينًا وكانت الفاء قبلها مفتوحة وكان فَعِلًا)، فإذا كان ثانيه من الأصوات الحلقيّة، ففيه أربع لغات مطّردة، هي: (فَعِلٌ، وفِعِلٌ، وفَعْلٌ، وفِعْلٌ) فعلًا كان أو اسمًا أو صفةً فهو على السواء، نحو قولك في (شَهِد، ولَعِب، وضَحِك، ونَغِل، ووَخِم، وفَخِذ): (شِهِد، ولِعِب، وضِحِك، ونِغِل، ووِخِم، وفِخِذ)، وكُسرت الفاء إتباعًا على لغة تميم من أجل الصّوت الحلقيّ المكسور، كما تبع الصّوت الأوّل الثّاني في الإدغام. وسبب إتباع الكسرةِ الكسرة هو كونها أخفّ عليهم حيث كانت الكسرة تشبه الألف، فأرادوا أنْ يكون العمل من وجه واحد. أمّا أهل الحجاز، فلا يغيّرون بناء (فَعِل)، ويجرونه على القياس[88].

وقد نُسبت هذه اللّغة أيضًا إلى هذيل في قراءة: ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ [النّساء: 58]، بكسر نون (نِعِمَ) إتباعًا للثّاني؛ بحجّة أنّ الأصل فيها (نَعِمَ) وعين الكلمة المكسورة من أصوات الحلق[89]، ووردت في قول طرفة:

خَالَتي والنَّفْسُ، قِدْمًا أَنَّهُم نِعِمَ السَّاعُونَ في الحيّ الشُّطُرْ[90]

ويبدو أنّ علّة هذا الإتباع هو الميل إلى الاقتصاد في المجهود العضليّ أثناء النّطق؛ لكراهية النّطق بصوتين مختلفين متجاورين؛ لذا مالت اللّهجة السّودانيّة إلى الانسجام الصّوتيّ؛ لأنّ "لهجات البدو أميل إلى هذا الانسجام من لهجات الحضر التي فيها تحقُّق الأصوات؛ نتيجة التأنّي والتؤدة في النّطق، فالانسجام كظاهرة صوتيّة لا يقتصر أمره على لهجات البدو، بل قد يوجد أيضًا في بعض لهجات الحضر، ولكن بنسبة أقلّ"[91].

وما نلحظه هنا أنّ اللّهجة السّودانيّة تأثّرت بلهجة تميم بطريقة غير مباشرة من القبائل المجاورة لها التي هاجرت إلى السّودان؛ لأنّ كثيرًا من خصائص لهجة تميم لا تتّفق مع السّمات العامّة المعروفة للهجات السّودانيّة، ويبدو أنّها تسرّبت إليهم عن طريق بني هلال وأحلافهم الذين كانت تربطهم بقيس وتميم صلات من النّسب والجوار، أو عن طريق أعقاب بني حنيفة جيران التّميميّين الذين كانوا على اتّصال باليمامة والبحرين[92].

كما نلحظ عدم التزام اللّهجة السّودانيّة بشرط أنْ تكون عين الكلمة صوتًا حلقيًّا، فعُمِّم هذا الإتباع وشمل الأصوات الحلقيّة وغيرها، أمّا اللّغة الفصحى كما نعرفها اليوم فتتّفق مع لهجة الحجاز[93]، التي التزمت بالقياس ولم تمل إلى الإتباع الحركيّ.

- **فُعِلَ ← فِعِل**

نحو: (**بُرِدَ ← بِرِدْ**)، فالمشهور والمستعمل هو الفعل (بَرَدَ)، ومن المعلوم أنّ أبنية ماضي الفعل الثّلاثيّ المجرّد المبنيّ للمعلوم مفتوحة الفاء وعينها مفتوحة أو مضمومة أو مكسورة، وصيغة (فُعِلَ) تستعمل للمبنيّ للمفعول، غير أنّ هناك أفعالًا لازمت هذا البناء سماعًا، والمرفوع بعدها فاعل، نحو: (عُنِيَ فلانٌ بحاجَتِه)، (وقد بُرِدَ القَومُ، كعُنِيَ: أَصابَهم البَرَدُ)[94].

ومسوّغ إتباع الكسرة الكسرة الرّجعيّ في الفعل (بِرِدْ) أساسه الفعل (بُرِدَ) المبنيّ للمفعول لا المبنيّ للمعلوم (بَرَدَ)، والفعلان يستعملان بمعنى واحدٍ هو: الإصابة بالبرد، فإذا قيل في اللّهجة السّودانيّة: (فلان بِرِدْ، أو بِرِدْتُ) فهو بمعنى الإصابة بالبرد.

وعلّة إيثار الكسرة مسوّغه الاقتصاد في الجهد العضليّ؛ كون الضّمّة "تحتاج إلى جهد عضليّ أكثر؛ لأنّها تتكوّن بتحرّك أقصى اللّسان، في حين أنّ الكسرة تتكوّن بتحرّك أدنى اللّسان، وتحرّك أدنى اللّسان أيسر من تحرّك أقصاه"[95]، كما أنّهما تشتركان في كثير من الظّواهر اللّغويّة كما ذكرنا سابقًا؛ لذلك سهُل التّغيير إليها.

- **فَعَلَ ← فِعِلْ**

لقد خرجت اللّهجة السّودانيّة في إتباع (فُعِلَ ← فِعِل) عمّا جاء في لهجات العرب القديمة، وقد امتدّ ذلك الخروج إلى صيغة (**فَعَلَ**)، وتحوّلت بقانون المماثلة الصّوتيّة إلى (**فِعِل**)، نحو: (**وَصَلَ ← وِصِلْ، وَقَفَ ← وِقِفْ، وَلَدَ ← وِلِدْ**)، يقال: (فلان وِلِدْ وِلَادَة كَتِيرة، وفلان وِصِلْ، ووِقِفْ).

نلحظ أنّ التّغيّر الصّوتيّ الذي حدث للفعل المثال الواويّ كان من الأخفّ (الفتح) إلى الأثقل (الكسر)، وعمومًا، فإنّ أغلب التّطوّرات اللّغويّة في اللّغة العربيّة رُدّت إلى ثقل الصّوت أو خفّته، فقد نُسبت الخفّة إلى الفتحة، والثّقل إلى الضّمّة والكسرة[96].

ويبدو أنّ مسوّغ إتباع الكسرة الكسرة في الأفعال السّابقة بدلًا عن الفتحتين هو الحمل قياسًا على المثال الواويّ مكسور العين في الماضي والمضارع، نحو: (وَرِم يَرِمُ، وَرِثَ يَرِثُ، وَثِقَ يَثِقُ)، فيقال في اللّهجة السّودانيّة: وِرِمْ، وِرِسْ (وِرِثْ)، وِسِقْ (وِثِقْ)، فلمّا كانت هذه الأفعال الواويّة على وزن (فَعِلَ)، وتأثّرَ أوّلها بثانيها تأثُّرًا رجعيًّا، حُمل عليها بعض الأفعال الواويّة التي من باب (فَعَلَ-يَفْعِل)، نحو: (وِلِد، ووِقِف) في إتباع الكسرة الكسرة، والغريب في الأمر أنّ غير ما ذكرنا من المثال الواويّ مفتوح العين، لم يحدث له تطوّر صوتيّ بإتباع الكسرة الكسرة، وذلك نحو: (وَزَنَ، وَعَدَ، وَقَدَ).

أمّا الفعل (وِصِل)، فالإتباع الذي حدث له يبدو أنّه راجع إلى أن كسر العين لغة في فتحها على لهجة بني بدر، كما نُقل عن الفرّاء أنّه قال: "يُقال: وَصِلَكَ اللهُ، لغة في (وَصَلَكَ اللهُ)، وهي لغة بني بَدْرٍ"[97] بن فزارة من قيس عيلان، وبنو بدر بطن كبير من بني فزارة الذين وردوا مصر مع من وردها من العرب أيّام الفتح الإسلاميّ وبعده، ونزلوا بإقليم القليوبيّة وصعيد مصر[98]، ودخلوا

السّودان من جهة الطّريق الشّمال الغربيّ، واستوطنوا في بادية كُرْدُفَان غرب السّودان؛ لامتهانهم حرفة الرّعي؛ لذلك لم يكن لهم أثرٌ لهجيٌّ كبيرٌ في المناطق الحضريّة في شمال السّودان ووسطه.

- فُعُول ← فِعِيل

نحو: **(عُصِيّ ← عِصِيّ)**، فإنَّها "فُعُولٌ في الأصل وفِعِيل في اللّفظ"[99]، فإذا كانت لام (فُعُوْل) واوًا مثل: (عُصِيّ) جمع (عَصَا)، فإنّها تقلب ياء؛ "لأنّ الياء أيسر نطقًا من الواو، وبخاصة في نهاية الكلمة، إلى جانب أنّ الياء من خصائص النّطق الحضريّ، كما أنّ الكسرة كذلك، في مقابل ما تعوّده البدو من إيثار الواو والضّمّة"[100]. وبسبب اجتماع الواو والياء في كلمة واحدة والسّابق منهما ساكن قلبت الواو ياء، وأُدغمت في الياء المتحرّكة، وأُبدلت ضمّة عين الكلمة كسرة للتجانس الصّوتيّ، كما أُبدلت ضمّة الفاء كسرة للإتباع الحركيّ لكسرة العين، فنلحظ أنّ صيغة الجمع مرّت بالتّغيّرات الآتية:

فُعُوْل← فُعُيْل ← فُعِيْل ← فِعِيْل > عُصُوْوٌ← عُصُوْيٌ← عُصُيْيٌ ← عُصُيٌّ ← عُصِيٌّ ← عِصِيٌّ.

وعلّة الإتباع عند سيبويه سببها الكسر والياء، قال: "وقد يكسرون أوّل الحروف لما بعده من الكسرة والياء، وهي لغة جيّدة، وذلك قول بعضهم: ثِدِيّ، وحِقِيّ، وعِصِيّ، وجِثِيّ"[101]، وعلّته عند المبرّد خفّة الكسر، قال: "ما كان على (فُعُول) ممّا اعتلَّت لامه تقول: ثُدِيّ وعُصِيّ، وإنْ شئت قلت: ثِدِيّ وعِصِيّ، والكسر أكثر؛ [لخفّته] والضّمّ الأصل؛ لأنّ البناء (فُعُول)"[102].

وقد نسب الفرّاء الكسر إلى بني أسدٍ ومن جاورهم فهم يقولون: (الحِلِيّ)، و(العِصِيّ)، و(الجِثِيّ)، و(الصِّلِيّ)، و(البِكِيّ)، و(العِتِيّ)، وأهل الحجاز وأكثر العرب يضمُّون أوّل هذا كلّه، وجميعهم اجتمعوا على كسرة العين في (العِصِيّ)[103]، وعليها قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَوْا حِبالَهُمْ

وَعِصِيَّهُمْ﴾ [الشّعراء:44]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريم: 68]، وهذا ما اختارته اللّهجة السّودانيّة ومالت إليه؛ لخفّته اتّباعًا للهجة العامّة.

ثانيًا- إتباع صوتين غير متجاورين

هناك نوع من الإتباع الرّجعيّ لصوتين غير متجاورين، كإتباع كسرةٍ لكسرة بينهما فاصل في صيغة اسم الفاعل من الثّلاثيّ المزيد، نحو:

مُتْكَبِّر ← مِتْكَبِّر، مُتْوَكِّل ← مِتْوَكِّل، مُتْوَلِّي ← مِتْوَلِّي، مُجَاهِد ← مِجَاهِد، مُجَاوِر ← مِجَاوِر، مُدَّثِّر ← مِدَّثِّر، مُدَرِّس ← مِدَرِّس، مُزَمِّل ← مِزَّمِّل، مُسَاعِد ← مِسَاعِد، مُسْتَفِيد ← مِسْتَفِيْد، مُسْرِع ← مِسْرِع، مُقَصِّر ← مِقَصِّر، مُنْطَلِق ← مِنْطَلِق.

نلحظ هنا إتباع حركة المورفيم الصّرفيّ (الميم المضمومة) لحركة ما قبل الأخير في اسم الفاعل من الثّلاثيّ المزيد، ومثّل له سيبويه بكلمة (مِنْتِن) إتباعًا للكسرة الكسرة[104]؛ "لأنّ الخروج من الشّيء إلى مثله أخفّ من الخروج إلى ما يخالفه"[105].

وعدّ ابن جنّي إتباع كسرة الميم لكسرة التّاء في (مِنْتِن) من باب الإدغام الأصغر؛ لتقريب الصّوت من الصّوت، وذكر فيها ثلاث لغات: (مُنْتِن)، وهي الأصل على لغة أهل الحجاز، ثمّ يليه الفرع (مِنْتِن) على لغة طائفة من العرب جُلّهم من تميم يقولون: (شيء مِنْتِن)، فيُتبعون الكسرَ الكسر، وأقلّها (مُنْتُن)[106].

وعلّة هذا الإتباع أنّ الضّمّ والكسر صوتا لينٍ ضيّقٍ بينهما تقارب في المقياس العامّ للصوت[107]؛ لذا كان من السّهل تغيير الضّمّة بالكسرة إتباعًا؛ لأنّ الكسرة لا تحتاج إلى جهد عضليّ كالضّمّة التي تتكوّن بتحرّك أقصى اللّسان، في حين أنّ الكسرة تتكوّن بتحرّك أدنى اللّسان، وتحرّك أدنى اللّسان أيسر من تحرّك أقصاه[108].

وبهذا التّفسير العلميّ يظهر لنا ميل اللّهجة السّودانيّة إلى الخفّة في النّطق، ويبدو أنّها تأثّرت ببني حنيفة الذين تأثّرت لهجتهم بلهجة القبائل المجاورة لهم كتميم من جهة الغرب، وقد نزحت جموع كبيرة من أعقاب بني حنيفة ومن لحقوا بهم من جيرانهم إلى أرض وادي النّيل وشمال السّودان، وإليهم ينتمي (الكنوز) الذين يعيشون في شمال السّودان[109].

المبحث الثّالث: إتباعُ الضَّمَّةِ الضَّمَّة

ورد هذا النّوع في صيغة واحدة هي: **فُعْل ← فُعُل.**

اشتملت صيغة (فُعْل) على أسماء ومصادروجمع تكسير، فمن **الأسماء**:

أُخْت ← أُخُت، بُرْج ← بُرُج، جُحْر ← جُحُر، الخُبْز← الخُبُز، دُرْج ← دُرُج، الصُّبْح ← الصُّبُح، صُلْب ← صُلُب، الظُّهْر← الضُّهُر، العُمْر ← العُمُر، الغُسْل ← الغُسُل، الكُحْل ← الكُحُل.

ومن **المصادر**: البُخْل ← البُخُل، البُعْد ← البُعُد، الحُزْن← الحُزُن، الحُكْم ← الحُكُم، الشُّغْل ← الشُّغُل، الشُّكْر← الشُّكُر، الظُّلْم ← الظُّلُم.

ومن **جمع التّكسير** جمع الصّفة المشبّهة التي على وزن (أَفْعَل)، فإنّها تُكسَّر على (فُعْلٍ)، ويقال فيها بالإتباع: بُكْم ← بُكُم، بِيْض ← بُيُض، حُمْر← حُمُر، خُرْس ← خُرُس، خُضْر← خُضُر، زُرْق ← زُرُق، سُمْر← سُمُر، سُوْد ← سُوُد، غُلْف ← غُلُف، مُلْس ← مُلُس.

فالإتباع كثر عند العرب حتّى صار مطّردًا، وقد حُكي "عن يونس أنّه قال: ما سُمع في شيء (فُعْل) إلّا سُمع فيه (فُعُل)"[110]، وعليه قول طرفة:

أَيُّهَا الفِتْيَانُ في مجْلِسِنَا جَرِّدُوا مِنْها وِرَادًا وَشُقُر[111].

يريد: شُقْرًا.

وهذا ما نلحظه في اللّهجة السّودانيّة، فإنّها مالت إلى إتباع الضّمّة الضّمّة، والرّاجح أنّ اللّغتين مستويتان في الفصاحة من حيث المنشأ والاستعمال، وقرئ بهما في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، كقراءة أبي جعفر وابن عامر والكسائيّ ويعقوب (الرُّعُب)[112] بضمّ العين في جميع القرآن، وقرأ الباقون بإسكان العين، فقيل: لغتان أجودهما السّكون، وقيل: الأصل السّكُون وضُمَّت العين إتباعًا، وقيل: الأصل الضَّمّ، وسُكّنت العين تخفيفًا كالرُّسْلِ وَالرُّسُلِ[113]، على لغة بكر بن وائل، وأناس كثير من بني تميم؛ لأنّهم كانوا يستثقلون إتباع الضّمّة بضمّة أخرى، و"كرهوا ذلك كما يكرهون الواوين، وإنّما الضّمّتان من الواوين، فكما تُكره الواوان كذلك تُكره الضّمّتان؛ لأنّ الضّمّة من الواو، وذلك قولك: الرُّسْل، والطُّنْب، والعُنْق، تريد الرُّسُل، والطُّنُب، والعُنُق"[114].

ففي الغالب يُنسب التّثقيل بإتباع الضّمّة الضّمّة إلى أهل الحجاز، فعلى سبيل المثال[115]:

- أهل الحجاز يُثَقِّلون (هُزُوًا)، يقولون: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ [البقرة: 67]، وأسد وتميم وعامّة قيس يقولون: (هُزْءًا) بالتّخفيف.

- يثقّل أهل الحجاز وبنو أسدٍ (النُّسُك) و(النُّزُل) كما في قوله تعالى: ﴿فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: 196]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ نُزُلًا﴾ [الكهف: 102]، وقيس وبكر يقولون: (النُّسْك) مخفّفًا، وتميم وربيعة يقولون: (النُّزْلُ) بالتّخفيف.

- أهلُ الحجازِ يقولون: (الجُرُف) مُثقَّل، كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلَى شَفا جُرُفٍ هارٍ﴾ [التّوبة: 109]، وقيس وتميم وأسد يقولون: (الجُرْف) خفيفة.

- أهلُ الحجازِ وبنو أسدٍ يقولون: ﴿قُدَّ مِنْ قُبُلٍ﴾ [يوسف: 26]، و﴿مِنْ دُبُرٍ﴾ [يوسف: 27]، وبعض تميمٍ يقول: ﴿مِن قُبْلٍ﴾ و﴿مِنْ دُبْرٍ﴾.

نلحظ ممّا سبق أنّ التّثقيل بإتباع الضّمّة الضّمّة من خصائص لهجات أهل الحجاز وبني أسد في بعض المواضع، والتّخفيف من خصائص لهجات بكر بن وائل وكثير من تميم وعامّة قَيْسٍ.

ويرجع الاختلاف في النّطق باللّهجتين إلى نسبة الوضوح السّمعيّ الذي تتّصف به أصوات اللّين في مقابل الأصوات السّاكنة التي تتّصف بأنّها أقلّ وضوحًا منها في السّمع[116].

وبهذا التّفسير لعلّة التّثقيل بإتباع الضّمّة الضّمّة دون التّخفيف بالتّسكين يتبيّن لنا تأثّر اللّهجة السّودانيّة بلهجة أهل الحجاز.

الخاتمة:

سعى هذا البحث إلى الكشف عن ظاهرة الإتباع الحركي في اللّهجة السّودانيّة المتمثّلة في لهجة الجَعَلِيّين، وعن مواضعها ومقاصدها، ومدى موافقتها للهجات العرب القديمة ومخالفتها لها، والقبائل العربيّة التي تأثّرت بلهجاتها فيه، وقد خرج البحث بنتائج من أهمّها:

- أنّ المجموعة الجَعَليّة غلبت عليها الصّبغة العربيّة والثّقافة العربيّة؛ نظرًا لكثرة عدد الجماعات العربيّة التي هاجرت إليهم.
- أنّ القصد من الإتباع الحركيّ في اللّهجة السّودانيّة هو الميل إلى تخفيف النّطق واقتصاد الجهد العضليّ، ووضوح الأصوات في السّمع، وهذه سمة القبائل العربيّة الوافدة.
- الإتباع الوارد في البحث هو إتباع الفتحة الفتحة، والكسرة الكسرة، والضّمّة الضّمّة، رجعيًّا وتقدُّميًّا، لصوتين متجاورين وغير متجاورين، فإتباع الفتحة فتحة مجاورة في الاسم ورد في صيغ: (فَعْل← فَعَل)، و(فَعْلَة ← فَعَلَة)، و(مَفْعُول ← مَفعُول)، و(أَفْعَل ← أَفعَل)، و(مُفَعَّل ← مَفعَّل)، و(مُفَعْلَل ← مَفَعْلَل)، وإتباع صوتين غير متجاورين ورد في: (أَبرَاهيم، وأَصْبَع). أمّا إتباع الكسرة الكسرة فورد في أفعالٍ ثلاثيّة مجرّدة، وأسماء ثلاثيّة وغير ثلاثيّة، منها ساكن الوسط ومنها المتحرّك، على وزن (فِعْلٍ، فُعْلٍ، فَعِلٍ، فَعِلَ، فُعِلَ، فَعَلَ، فُعُول)، وجميعها تحوّلت بقانون المماثلة الصّوتيّة إلى (فِعِل)، عدا صيغة (فُعُول)، فإنّها تحوّلت إلى (فِعِيل)، وجاء إتباع الصّوتين غير المتجاورين في

صيغ اسم الفاعل من الثّلاثيّ المزيد، حيث أتبعت ضمّة أوّله كسرة ما قبل آخره. أمّا إتباع الضّمّة الضّمّة فكان من أقلّ أنواع الإتباع استعمالًا، فقد ورد في صيغة واحدة هي: (فُعُل) للسّاكن الوسط.

- توافقت اللّهجة السّودانيّة الحديثة في أغلب مواضع ظاهرة الإتباع الحركيّ مع لهجات العرب القديمة؛ لتأثُّرها بالقبائل العربيّة التي دخلت السّودان.

- الغالب على اللّهجة السّودانيّة تحريك الصّوت الحلقيّ السّاكن في صيغة (فَعْل) و(مَفْعُول)، و(أَفْعَل)؛ لتفخيمه؛ حرصًا على وضوحه السّمعيّ، على لهجة أهل الحجاز، وفي حال كان الصّوت السّاكن غير حلقيّ في

صيغة (فَعْل) يُحرّك بالضّمّ أو الكسر حفاظًا على الوضوح السمعيّ.

- لم يرد في لهجات العرب القديمة تحريك فاء الصّفة المشبّهة (أفْعَل ← أَفعَل) بالفتحة إتباعًا، كما لم يرد إتباع ضمّة اسم المفعول من الثّلاثيّ المزيد بالتّضعيف فتحة الفاء في (مُفَعَّل ← مَفَعَّل).

- تأثَّرت اللّهجة السّودانيّة في الإتباع الحركيّ بلهجة القبائل الحجازيّة، وما ثبت عن اتّباعها للهجة تميم في كسر فاء صيغة (فَعِل) إتباعًا لعينها لم يكن مباشرًا؛ لأنّ لهجة تميم ليس لها أثرٌ في السّودان، فالكثير من خصائص لهجتها لا تتّفق مع السّمات العامّة المعروفة للهجات السّودانيّة، فما جاء على لهجتهم كان عن طريق بني هلال وأحلافهم الذين كانت تربطهم بقيس وتميم صلات من النّسب والجوار، أو عن طريق أعقاب بني حنيفة جيران التّميميّين الذين كانوا على اتّصال باليمامة والبحرين.

- عدم التزام اللّهجة السّودانيّة بإتباع الكسرة الكسرة في صيغة (فَعِل) اسمًا كان أو فعلًا، بشرط أنْ تكون عين الكلمة صوتًا حلقيًّا، فكان الإتباع عامًّا لجميع الأصوات الحلقيّة

وغير الحلقيّة، واللّغة الفصحى تتّفق مع لهجة أهل الحجاز التي التزمت القياس ولم تَمل إلى الإتباع الحركيّ.

- ورد إتباع الكسرة الكسرة في اللّهجة السّودانيّة في غير الصّيغ الواردة عن العرب، نحو: (فُعْلٍ ← فِعِل)، و(فُعِلَ ← فِعِل)، و(فَعَلَ ← فِعِل).

الهوامش والإحالات:

(1) أحمد علم الدين الجندي، اللّهجات العربيّة في التّراث، الدار العربيّة للكتاب، ليبيا، تونس، د. ط، 1983م: 128/1.

(2) المرجع السابق: 132/1.

(3) إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربيّة، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، ط8، 1992م: 239.

(4) يُنظَر: عبد المجيد عابدين، من أصول اللّهجات العربيّة في السّودان: دراسة مقارنة في اللّهجات العربيّة القديمة وآثارها في السّودان، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، د. ط، 1989م: 17- 23.

(5) يُنظَر: أحمد بن عليّ المقريزيّ، البيان والإعراب عمّا بأرض مصر من الأعراب، مع دراسات في تاريخ العروبة في وادي النّيل، تأليف وتحقيق: عبد المجيد عابدين، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1961م: 67.

(6) يُنظَر: محمّد عوض محمّد، السّودان الشّماليّ سكانه وقبائله، مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة، القاهرة، ط1، 1951م: 164- 170. عون الشّريف قاسم، موسوعة القبائل والأنساب في السّودان وأشهر أسماء الأعلام والأماكن، شركة آفرو قراف للطباعة والتّغليف، الخرطوم، ط1، 1996م: 471/1- 472.

(7) محمّد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ: 27/8.

(8) يُنظَر: محمّد بن محمّد الزبيديّ، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحقّقين، دار الهداية، الكويت، د. ط، د. ت: مادة (تبع) 380/20.

(9) عبده الرّاجحي، اللّهجات العربيّة في القراءات القرآنيّة، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، د. ط، 1996م: 144. اصطلح رمضان عبد التّوّاب على التّأثُّر الرّجعيّ بمصطلح (مُقْبِل)، وعلى التّقدُّميّ بمصطلح (مُدْبِر)، والصّوتان قد يكونان في حالة اتّصال أو انفصال. يُنظَر: رمضان عبد التّوّاب، التّطوّر اللّغويّ: مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1997م: 31.

(10) إبراهيم أنيس، الأصوات اللّغويّة، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، د. ط، د. ت. 108، 109.

(11) يُنظَر: عثمان بن جنّي، الخصائص، تحقيق: محمّد عليّ النّجّار، دار الكتب المصريّة، د. ط، 1952م: 143/2.

(12) عبد العزيز السيّد مطر، أثر التّوافق الحركيّ في خصائص لهجات الخليج العربيّ، جامعة البصرة، مركز دراسات الخليج، م 1، 1977م: 336.

(13) يُنظَر: أنيس، الأصوات اللّغويّة: 174.

(14) أنيس، في اللّهجات العربيّة: 96، 97. يُنظَر: الرّاجحي، اللّهجات العربيّة في القراءات القرآنيّة: 144.

(15) يُنظَر: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، في الدّراسات القرآنيّة واللّغويّة: الإمالة في القراءات واللّهجات العربيّة، دار نهضة مصر، د. ط، 1972م: 267.

(16) أنيس، في اللّهجات العربيّة: 16.

(17) يُنْظَر: عمرو بن عثمان سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988م: 600/3، 601، 107/4، 417، 440. الزّبيديّ، تاج العروس، (لهج): 193/6. حاتم صالح الضّامن، علم اللّغة، جامعة بغداد، بيت الحكمة، د. ط، 1989م: 32.

(18) يُنظَر: أنيس، في اللّهجات العربيّة: 11.

(19) يُنظَر: جوزيف فندريس، اللّغة، تعريب: عبد الحميد الدّواخليّ، محمّد القصاص، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، د.ط، 1950م: 348. رمضان عبد التّوّاب، المدخل إلى علم اللّغة ومناهج البحث اللّغويّ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1997م: 171.

(20) يُنظَر: عابدين، من أصول اللّهجات العربيّة في السّودان: 6، 9، 10.

(21) يُنظَر: محمّد، السّودان الشّماليّ سكانه وقبائله: 159- 160.

(22) يُنظَر: مصطفى محمّد عطيّة مسعد، امتداد الإسلام والعروبة إلى وادي النّيل الأوسط- مملكة عَلَوَة، المجلّة التّاريخيّة المصريّة، مصر، م8، 1959م: 82، 85- 86.

(23) يُنظَر: عابدين، من أصول اللّهجات العربيّة في السّودان: 17- 23.

(24) يُنظَر: عابدين، من أصول اللّهجات العربيّة في السّودان: 15. أُضيف إلى الخريطة منطقة البحث، وأسماء بعض المدن: دُنْقُلا، عَطْبَرَة، شَنْدِي، المَتَمَّة، إضافة إلى الشّلاّل السّادس، الذي يُسمَّى (شلّال السَّبَلُوقَة).

(25) يُقال في المثل السّوداني: (مَا عِنْدُو ضَهَر)، أي: حماية، ويقال: (العِنْدُو ضَهَر ما بِنْضَرِب على بَطْنُو). يُنظَر: عون الشّريف قاسم، قاموس اللّهجة العاميّة في السّودان، الدار السّودانيّة للكتب، الخرطوم، ط3، 2002م، (ضهر): 595.

(26) يقال: (الشِّيء دَه مَا عِنْدُو طَعَم)، أي: عديم الفائدة. يُنظَر: قاسم، قاموس اللّهجة العاميّة في السّودان، (طعم): 609.

(27) يُنظَر: قاسم، قاموس اللّهجة العاميّة في السّودان، (بحر): 71.

(28) يقال: (فلان وفلان الشَّحَمَة والنَّار)، كناية عن شدّة العداوة بينهما، والشّحمة: القطعة من الدّهن المعروف. يُنظَر: قاسم، قاموس اللّهجة العاميّة في السّودان، (شحم): 512.

(29) يُنظَر: قاسم، قاموس اللّهجة العاميّة في السّودان، (رطل): 394.

(30) الشَّطُر: الثَّدِي. يُنظَر: قاسم، قاموس اللّهجة العاميّة في السّودان، (شطر): 524.

(31) يُنظَر: عثمان بن جنّي، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: عليّ النجدي ناصف، عبد الحليم النّجّار، دار سركين، إسطنبول، ط2، 1986م: 84/1، 85. في نحو قوله تعالى: (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهَرَةً) [البقرة: 55]، وقوله تعالى: (وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى مَا مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجًا مِنْهُمْ زَهَرَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا) [طه: 131].

(32) ابن جنّي، المحتسب: 84/1- 85.

(33) المرجع السابق: 166/1- 167.

(34) المرجع السابق: 84/1.

(35) المرجع السابق: 166/1- 167.

(36) يُنظَر: عابدين، من أصول اللّهجات العربيّة في السّودان: 75- 77.

(37) يُنظَر: عبد الرّحمن بن محمّد بن خلدون، مقدّمة ابن خلدون، تحقيق: عبد الله محمّد الدّرويش، دار يعرب، دمشق، ط1، 2004م: 288/1.

(38) يُنظَر: أنيس، في اللّهجات العربيّة: 77.

(39) يُنظَر: أمل عثمان العطا، الظَّواهر اللُّغويّة في أسماء البَحْر، مقبول للنشر في مجلة آداب البصرة، العراق، يوليو 2020م:5.

(40) يُنظَر: أنيس، الأصوات اللّغويّة: 28.

(41) عبد الرّحمن بن عبد الله السّهيليّ، نتائج الفكر في النَّحو، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1992م: 67.

(42) أنيس، الأصوات اللّغويّة: 27.

(43) أنيس، في اللّهجات العربيّة: 170.

(44) أنيس، الأصوات اللّغويّة: 28،27.

(45) يُنظَر: عابدين، من أصول اللّهجات العربيّة في السّودان: 75- 77.

(46) يُنظَر: أنيس، الأصوات اللّغويّة: 28.

(47) أنيس، المرجع السابق: 28، 29.

(48) يُنظَر: المرجع السابق: 66، 67.

(49) ابن جنّي، المحتسب: 84/1، 85. الشّجريّ هو: أبو عبد الله محمّد بن العسّاف، الشّجريّ، العقيليّ، الجوثيّ، التّميميّ، شاعر، أحد الأعراب الذين أخذت عنهم اللّغة. يُنظَر: ابن جنّي، الخصائص: 1/ 77، 79، 241، 11/2.

(50) يُنظَر: عبد الرّحمن بن أبي بكر السّيوطيّ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد الحميد هنداويّ، المكتبة التّوقيفيّة، مصر، د. ط، د. ت. 471/3. لا تسمّى هذه الظّاهرة الصّوتيّة إبدال الهمزة ألفًا؛ لأنّ الإبدال لا يحدث إلا بين الأصوات المتقاربة في المخرج أو الصّفة، والهمزة والألف ليس بينهما تقارب صوتيّ. يُنظَر: عبد الصّبور شاهين، المنهج الصّوتيّ للبنية العربيّة- رؤية جديدة في الصّرف العربيّ، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، د. ط، 1980م: 168.

(51) إبراهيم أنيس، من أسرار اللّغة، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، ط6، 1978م: 77.

(52) سيبويه، الكتاب: 543/3.

(53) يُنظَر: عبد الصّبور شاهين، القراءات القرآنيّة في ضوء علم اللّغة الحديث، مكتبة الخانجي، القاهرة، د. ط، 1966م: 97.

(54) يُنظَر: محمّد بن محمّد بن الجزريّ، النّشر في القراءات العشر، تحقيق: عليّ محمّد الضّباع، دار الكتب العلميّة، بيروت، د. ط، د. ت. 390/1.

(55) يُنظَر: يعيش بن عليّ بن يعيش، شرح المفصّل، قدّم له: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 2001م: 265/5. ابن منظور، لسان العرب: 22/1. الرّاجحي، اللّهجات العربيّة في القراءات القرآنيّة: 105.

(56) يُنظَر: الرّاجحي، اللّهجات العربيّة في القراءات القرآنيّة: 106.

(57) سيبويه، الكتاب، 555/3. يُنظَر: ابن منظور، لسان العرب: 22/1.

(58) يُنظَر: شاهين، المنهج الصّوتي للبنية العربيّة: 172.

(59) ابن يعيش، شرح المفصّل: 265/5.

(60) المجَهْجَه: الذي ليست له وِجْهة. المدَرْدَح: الكثير التّجارب، الذي تمرّس بخطوب الحياة. المدَرْدَر: الشخص المُتْعَب غير المُرتَاح. المَدَرْدَق: المُدَحْرج. المدَرْدَم: المُكوّر والملفوف. الدَّلْدَلة: الحركة في المشي. الدَّلْدَمَة: الشّيء المتكوّر والمتجمّع. مَلَخْلَح: اكتسب خبرة ودربة ونشاطًا. يُنظَر: قاسم، قاموس اللهجة العاميّة في السّودان، (جَهْجَه): 218. (دَرْدَحَ): 323. (دَرْدَر): 323. (دَرْدَق): 323. (دردم): 324. (دَلْدَل): 346. (دلدم): 346. (لَخَّ): 885. الزّبيديّ. تاج العروس، (جهجه): 72/36. (دلل): 499/28، 502.

(61) يُنظَر: عبد الحق بن غالب بن عطيّة، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمّد، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1422هـ: 127/2.

(62) محمّد بن يوسف أبو حيّان، البحر المحيط في التّفسير، تحقيق: دقي محمّد جميل، دار الفكر، بيروت، د. ط، 1420هـ: 110/4-111.

(63) أنيس، الأصوات اللّغويّة: 167.

(64) محمّد بن أحمد الذّهبيّ، تذكرة الحفّاظ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1998م: 57/1.

(65) يُنظَر: حنّا نصر الحتّي، قاموس الأسماء العربيّة والمعرّبة وتفسير معانيها، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط3، 2003م: 19.

(66) يُنظَر: محمّد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، د.ط، 1990م: 445/7.

(67) يُنظَر: محمّد بن يعقوب الفيروزآباديّ، بصائر ذوي التّمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمّد عليّ النّجّار، لجنة إحياء التّراث الإسلاميّ، القاهرة، د. ط، 1973م: 32/6.

(68) يُنظَر: رضا، تفسير القرآن الحكيم: 445/7.

(69) أنيس، في اللّهجات العربيّة: 97.

(70) يُنظَر: قاسم، قاموس اللّهجة العاميّة في السّودان، (صُبَاع): 562.

(71) إسماعيل بن حمّاد الجوهريّ، الصّحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1987م، (صبع): 1241/3.

(72) الحسن بن محمّد الصّغانيّ، التّكملة والذّيل والصّلة لكتاب تاج اللّغة وصحاح العربيّة، تحقيق: عبد العليم الطّحاويّ، راجعه عبد الحميد حسن، دار الكتب، القاهرة، د. ط، 1974م، (صبع): 295/4.

(73) محمّد بن يعقوب الفيروزآباديّ، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التّراث في مؤسّسة الرّسالة بإشراف: محمّد نعيم العرقسُوسيّ، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط8، 2005م: 736.

(74) يُنظر: أنيس، في اللّهجات العربيّة: 159.

(75) يُنظَر: سيبويه، الكتاب: 113/4، 114.

(76) الجوهريّ، الصّحاح، (جلد): 458/2.

(77) يُنظَر: رؤبة بن العجّاج، ديوانه، اعتنى بتصحيحه وترتيبه: وليم بن الورد البروسي، دار ابن قتيبة، الكويت، د.ط، د. ت. 118.

(78) يُنظَر: سيبويه، الكتاب: 440/4.

(79) يُنظَر: أنيس، الأصوات اللّغويّة: 33، 34، 43، 44.

(80) أنيس، في اللّهجات العربيّة: 96.

(81) يُنظَر: المرجع السابق: 91- 95.

(82) قال ابن جنّي: "أمّا (بَعُدَ) فيكون مع الخير والشّرّ، تقول: بَعُدَ عن الشرّ، وبَعُدَ عن الخير، ومصدرها البُعْدُ، وأمّا (بَعِدَ) ففي الشّرّ خاصّة، يقال: بَعِدَ يَبْعَدُ بَعَدًا، ومنه قولهم: أَبْعَدَه الله، فهو منقول من (بَعِدَ)؛ لأنّه دعاء عليه، فهو من (بَعِدَ) الموضوعة للشّرّ". ابن جنّي، المحتسب: 327/1. قال ابن سيده: "بَعِدَ بَعَدًا وبَعُدَ: هلك أو اغترب، قال تعالى: (كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ)" على قراءة الجماعة. عليّ بن إسماعيل بن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداويّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 2000م، (بعد): 32/2. وأهلُ الحجاز يقولون: (بَعُدَتْ)، وبعض قَيْسٍ يقولون: (بَعِدَتْ). يُنظَر: يحيى بن زياد الفرّاء، لغات القرآن، ضبطه وصحّحه: جابر بن عبد الله السّريع، د. ن، د. م، د. ط، 1435هـ: 71.

(83) قال الزّبيديّ: "حَرِقَ الرَّجُل حَرَقًا، كفَرِحَ: انْقطَعَتْ حارِقَتُه، فهو حَرِقٌ، وهو أكثر من مَحْرُوقٍ، وحُرِقَ البَعِيرُ، كعُنِيَ، فهو مَحرُوقٌ... واللُّغتان فِي كلِّ واحدٍ من هذين النّوعين صحيحتان فصيحتان". الزّبيديّ، تاج العروس، (حرق): 158/25.

(84) يُنظَر: قاسم، قاموس اللّهجة العاميّة في السّودان، (خرف): 291.

(85) يُنظَر: المرجع السابق، (رعف): 395.

(86) "كَبِرَ الرّجلُ والدّابّة كِبَرًا، فهو كَبِير: طعن في السِّنّ". ابن سيده، المحكم، (كبر): 11/7.

(87) يُنظَر: قاسم، قاموس اللّهجة العاميّة في السّودان، (نعس): 978.

(88) يُنظَر: سيبويه، الكتاب: 107/4، 108.

(89) يُنظَر: المرجع السابق: 439،440/4.

(90) طَرَفَة بن العَبْد، ديوانه، تحقيق: مهدي محمّد ناصر الدين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط3، 2002م: 45. ورد صدره في الكتاب برواية أخرى، هي: (مَا أَقَلَّتْ قَدَمٌ نَاعِلَها أَنَّهُم). يُنظَر: سيبويه، الكتاب: 440/4.

(91) أنيس، في اللّهجات العربيّة: 98.

(92) يُنظَر: عابدين، من أصول اللّهجات العربيّة في السّودان: 29.

(93) يُنظَر: محمود فهمي حجازي، علم اللّغة العربيّة، دار غريب، القاهرة، د. ط، د. ت. 231.

(94) يُنظَر: الزّبيديّ، تاج العروس، (عني): 121/39، (برد): 413/7.

(95) أنيس، في اللّهجات العربيّة: 96.

(96) يُنظَر: أنيس، الأصوات اللّغويّة: 167.

(97) الصّغانيّ، التّكملة والذّيل والصّلة، 546/5. قال البستاني: "وقولهم في الدّعاء: (وَصِلَكَ اللهُ) -من باب (عَلِمَ)، أي: أنعم اللهُ عليك وأعطاك- لغة قليلة في (وَصَلَكَ)". بطرس البستانيّ، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، د. ط، 1987م: 972.

(98) يُنظَر: أحمد بن عليّ القلقشنديّ: الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلميّة، بيروت، د. ط، د. ت: 8/1، 399. المقريزيّ، البيان والإعراب: 16.

(99) أبو بكر مُحَمَّد بن السَّري الْبَغْدَاديّ ابن السرّاج، الأصول في النّحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، د. ط، د. ت. 336/3.

(100) شاهين، المنهج الصّوتي للبنية العربيّة: 190.

(101) سيبويه، الكتاب: 384/4-385.

(102) محمّد بن يزيد المبرّد، المقتضب، تحقيق: محمّد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1996م: 182/1- 183.

(103) يُنظَر: الفرّاء، لغات القرآن: 68.

(104) يُنظَر: سيبويه، الكتاب: 109/4.

(105) ابن يعيش، شرح المفصّل: 391/4.

(106) يُنظَر: ابن جنّي، الخصائص: 35/2، 143. عليّ بن إسماعيل بن سيده، المخصّص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، ط1، 1996م: 271/3.

(107) يُنظَر: أنيس، الأصوات اللّغويّة: 33- 34، 43- 44.

(108) يُنظَر: أنيس، في اللّهجات العربيّة: 96.

(109) يُنظَر: عابدين، من أصول اللّهجات العربيّة في السّودان: 23.

(110) ابن جنّي، المحتسب: 162/1.

(111) البيت في ديوانه: 44. ابن جنّي، المحتسب: 162/1. وِرادًا: جمعٌ مفرده الورد، وهو الجواد الأشقر.

(112) آل عمران: 151، الأنفال: 12، الكهف: 18، الأحزاب: 26، الحشر: 2.

(113) يُنظَر: أحمد بن الحسين النّيسابوريّ، المبسوط في القراءات العشر، تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي، مجمع اللّغة العربيّة، دمشق، د. ط، 1981م:170. عبد الرّحمن بن محمّد، حجّة القراءات، تحقيق: سعيد الأفغانيّ، دار الرّسالة، د. ط، د. ت. 176. أبو حيّان، البحر المحيط: 372/3.

(114) سيبويه، الكتاب، 113/4- 114.

(115) يُنظَر: الفرّاء، لغات القرآن: 26، 33، 34، 53، 72، 77.

(116) يُنظَر: أنيس، الأصوات اللّغويّة: 28.

تأمّلاتٌ في باب "علم ما الكَلِمُ مِن العربيّة" من مقدّمة كتاب سيبويه

أ.م.د. سعيد أحمد البطاطي *

batati63@gmail.com

الملخّص:

هذا بحثٌ بعنوان "تأمّلات في باب (علم ما الكَلِمُ من العربيّة) من مقدّمة كتاب سيبويه"، غرضُه التأمّلُ في نصٍّ من نصوص الكتاب، وهو النصُّ المعقود عليه باب (علم ما الكَلِمُ من العربيّة)، وهو أوّل بابٍ من أبواب مقدّمة كتاب سيبويه؛ تأمّلا قد يتجاوز -للضرورة المنهجيّة- حدودَ الباب، إلى شيء من نصوص الكتاب المتّصلةِ بنصّ البابِ المتأمّلِ فيه، وقد يمُدُّ البصرَ إلى مدوّناتٍ من مدوّنات الخالفين؛ لإظهارِ مدى اقترابها من تصوّرات سيبويه في الباب المتأمّل فيه، أو ابتعادِها عنها. وتسهيلا لإجراءِ البحثِ رتّبْتُ مسائلَه على ما ترتّبَتْ في البابِ غرضِ الدراسة.

الكلمات المفتاحيّة: سيبويه؛ الكتاب؛ المقولات؛ أنواع الكلمة في العربيّة.

* أستاذ اللغة والنحو المشارك - قسم اللغة العربيّة - كليّة الآداب - بجامعة حضرموت - الجمهورية اليمنية.